ملازمة الضبط والإتقان للصحابة
في رواية الحديث
عوامله وأسبابه

إعداد

د/ علاء عبد العزيز متولي عيسى

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بكلية أصول الدين
بالمنوفية - جامعة الأزهر

ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث، عوامله وأسبابه.

علاء عبد العزيز متولي عيسى

قسم الحديث الشريف وعلومه- كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية- جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني: alaaahmad.adv@azhar.edu.eg

المُلَخَّص:

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدر التشريع، وبهما حفظ الدين وصيانته، وفي اتباعهما سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وفي البعد عنهما الخسران والخزلان، والصحابة الكرم هم من حملوا راية هذا الدين وبلَّغُوه عن رسول الله (ﷺ)، وقد عرف عنهم قوة إيمانهم، وتقواهم، وورعهم، وصدق يقينهم، وشدة حبهم لله ولرسوله، وحرصهم على دين الله تعالى، حتى تملك هذا الحب مشاعرهم، ودفعه إلى التسابق والتسارع إلى كتاب الله يأخذونه ويحفظونه ويتعلمونه، ويعملون به، وإلى سنته يحيطون بأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته، فيقتدون به ويهتدون بهديه، ممتثلين في ذلك قوله سبحانه:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فنالت سنته (ﷺ) عندهم مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، في الحفظ والإتقان والعناية والضبط، وقد ساعدهم على ذلك ثلاثة عوامل رئيسة أسهمت إسهاما كبير في ملازمة الضبط والإتقان لهم في رواية الحديث، وتتمثل هذه العوامل فيما يأتي:

أولاً: المعلم: أفضل الخلق وخاتم النبيين والمرسلين محمد (ﷺ).

ثانياً: المتعلم: الصحابة الكرام رضوان الله عليم أجمعين-خير أمة أخرجت للناس-.

ثالثا: العلم المُلقى: السنة النبوية المشرفة، وفيها صلاح الدين والدنيا.

الكلمات المفتاحية: الضبط، الإتقان، الصحابة، الحديث.

Adjusting and perfecting Al Sahaba in a modern Narration, its factors and causes.

Alaa Abdelaziz Metwally Isa
Al-Hadith Al-Sharif Department of Science - Faculty of Theology and Advocacy - Al-Azhar University.
Email: alaaahmad.adv@azhar.edu.eg

Abstract:
The Holy Quran and the Purified Prophet Sunna are the source of legislation, with the preservation and protection of religion, and in their pursuit of one's happiness in the world and the aftermath, and in their distance from them the loss and the iniquity, it is the Holy Companion who take the responsibility of this religion and abetted it from the Messenger of God. (May Blessings and Prayers of Allah be upon him), the strength of their faith, strength, pastoralism, sincerity of their certainty, and the intensity of their love for God and his messengers, and their desire for the religion of God Almighty, so that this love possesses their feelings, and prompts him to race and accelerate to the Book of Quran that they take, save, learn, and work with to stick to Sunnah that they stick to his statements and actions, his reports and descriptions . Conforming to this, he said, "Saying that if you love God, As the Sunnah of Allah has a high profile, and a high position, in Al hadith, mastery, care and control. there are three factors that have helped with sticking to control and master narrating Ahadith such as : Firstly: The teacher: Best Creation and the latest Prophets and Messengers Mohammed (May Blessings and Prayers of Allah be upon him). Secondly: The learner: The companions of the prophet- may Allah be satisfied with them- is a nation that came out of the people.

Keywords : The Holy Prophetic Sunnah, In Which Life And Religion Are Good.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الْحَمْدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد(ﷺ)، الَّذِي أَكْمَلَ الله خَلْقَهُ، وَعَظَّمَ خُلُقَهُ، وَأَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، فكان رحمة للعالمين، وهاديا وبشيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فاللَّهم صلِّ وسلم وبارك عليه وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، المُتَخَلِّقِينَ بِخُلُقِهِ، وَالمُتَأَدِّبِينَ بِآدَابِهِ، الداعين بدعوته، والمتمسكين بسنته، وَعَلَى التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن السنة النبوية هي الأصل الثاني للتشريع، وهي شارحة للقرآن الكريم، ومفصلة لمجمله، ومقيدة لمطلقه، ومخصصة لعامه، ومبينة لمبهمه، قال تعالى:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

والصحابة الكرام هم مَنْ حملوا راية هذا الدين إلى أرجاء الدنيا؛ فقدموا الغالي والنفيس إعلاء للحق ونصرة لدين الله –عز وجل–، وقد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه(ﷺ)، وشرفهم بذلك، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فقال سبحانه:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٢)،وقال (ﷺ): " إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ، إِلا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، ...(٣)".

---

(١) سورة النحل من الآية (٤٤).

(٢) سورة آل عمران من الآية (١١٠).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ٣١١/٢، ٣١٢ قال: أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ الْقَاسِمُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الأَثْرَمِ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ الْقَنْطَرِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي =

وقد امتاز هؤلاء الصحابة بميزات ساعدتهم على حفظ السنة وضبطها، منها: قوة إيمانهم، وتقواهم، وحبهم لله ولرسوله،وسيلان أذهانهم، وقوة حافظتهم، وحرصهم الشديد على حديث رسول الله (ﷺ) وتثبتهم فيه، إلى غير ذلك مما تضمنه هذا البحث، مما ساعدهم على الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه وشاهدوه من رسول الله (ﷺ)؛ فرسول الله(ﷺ) هو مصدر هذا لمعلم، وهو خاتم النبيين والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، والهادي إلى طريقه المستقيم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١]، وهو أكمل الناس خَلقا وخُلقا؛ فكمال الأخلاق متمثل في خلق رسول الله (ﷺ)، قال تعالى مخاطبا نبيه (ﷺ): ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٢]، وقالت السيدة عائشة –رضي الله عنها– حينما سُئلت عَنْ خُلقه (ﷺ): " فقَالَتْ للسائل: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قال: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ"[٣]؛ لذا اقتدى به المسلمون، عملا بقوله

=

مَرْيَمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالا : حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ...فذكره. قلت:إسناده صحيح فيه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ضعيف وقرن بابن أبي مريم في نفس الإسناد وهو ثقة.

(١) سورة آل عمران آية (١٦٤).

(٢) سورة القلم آية (٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا ، بَاب جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عنه أو مَرِضَ، ٥١٢/١ (٧٤٦)، جزء من حديث طويل.

تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[1].

تلك الأخلاق العالية، والكمالات الإنسانية، والتربية الربانية، جعلته (ﷺ) قدوة لهم، يقتدون به، ويسيرون على دربه، يأخذون عنه العلم، وينشرونه بين الناس، فحفظوا السنة في صدورهم وأفئدتهم، وجوارحهم، وسطورهم؛ لما لمسوه فيها من الخير الوفير والنفع العميم في الدنيا والآخرة، ومما ساعدهم على الحفظ والضبط أيضا: تنوع الأساليب والوسائل النبوية في التعليم، والتي جعلت السنة النبوية لديهم سهلة المنال، قريبة إلى الأذهان، ميسورة في الحفظ والإتقان.

قال الزُّرْقاني– رحمه الله–: "أما السنة النبوية فقد ضربت الرقم القياسي في باب هذه السياسة التعليمية الراشدة حتى إذا كان علماء التربية في العصور الحديثة قد عدوا من الحكمة في التعليم والتربية الاستعانة بوسائل الإيضاح وألوان التشويق، فإن محمد (ﷺ) النبي الأمي كان من قبل أربعة عشر قرنا ومن قبل أن يولد علم التربية وعلم النفس، كان هو المعلم الأول في رعاية تلك الوسائل الموضحة، وهاتيك المشوقات الرائعة حتى تفتحت قلوب سامعيه للهداية، وامتلأت صدور أصحابه بتعاليمه كأنما كتبت فيها كتابا بالكلمة والحرف[2]".

ولقد تميز الصحابة الكرام بحرصهم الشديد على حديث رسول الله (ﷺ)؛ لما أدركوه من أن العزة والسعادة والفلاح في الاهتداء بهديه، والسير على دربه، فأقبلوا عليه بعزيمة صادقة، وأفئدة واعية، وتحروا فيه الدقة والأمانة والتثبت في النقل والرواية.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٢١).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن،لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني ١/٣٠٤.

ولأهمية علم الحديث ومنزلته عند الصحابة، نال اهتمامهم وعنايتهم؛ حفظا، وكتابة، ومذاكرة، وقد تلقاه هؤلاء الصحابة عن رسول الله (ﷺ) من خلال المشاهدة للواقع المعاصر والبيئة المحيطة بهم، مما كان له بالغ الأثر في حفظه وضبطه.

فقبول رواية الصحابة والوثوق بمروياتهم يرجع إلى ثلاثة عوامل رئيسة أسهمت إسهاما كبير في ملازمة الضبط والإتقان لهم في رواية الحديث، وتتمثل هذه العوامل فيما يأتي:

أولاً: المعلم: أفضل الخلق وخاتم النبيين والمرسلين محمد (ﷺ).

ثانياً: المتعلم: الصحابة الكرام رضوان الله عليم أجمعين-خير أمة أخرجت للناس-.

ثالثا: العلم المُلقى: السنة النبوية المشرفة، وفيها صلاح الدين والدنيا.

أهمية الموضوع:

مما سبق يتضح لنا أهمية هذا الموضوع؛ حيث يُظهر عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث، والأسباب التي أدت إلى ذلك؛ وهذا مما يؤكد على ضبط الصحابة وإتقانهم للمرويات؛ لأجل ذلك شرعت في كتابة هذا البحث، وأسميته: " **ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث، عوامله وأسبابه**".

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة مستقلة تناولت هذا العنوان، إلا أن هناك بعض الدراسات التي تناولت الحديث عن ضبط الصحابة، غير أنها لم تتناول الموضوع من جميع جوانبه، كما أنها لم تؤكد على ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في الرواية كما جاء في بحثي؛ وإنما تناولت بعضا من أسباب ضبط الصحابة في رواية الحديث؛ فلم تتناول عوامل ضبط الصحابة إلا نذر يسير؛ وما هي إلا جزء محدود من عناصر بحثي الذي حرصت فيه أن

يجمع بين العوامل والأسباب التي تؤكد على ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في الرواية[1]، مؤكدا ذلك بالأدلة، والأمثلة التطبيقية.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وفق الخطة الآتية:

مقدمة: اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه.

مدخل: عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث.

المبحث الأول: العامل الأول من عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث: المُعلم رسول الله (ﷺ).

المبحث الثاني: العامل الثاني من عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث: المُتَعلم ـ الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ..

المبحث الثالث: العامل الثالث من عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث:العلم الملقى ـ الحديث النبوي الشريف ..

الخاتمة: اشتملت على أهم نتائج هذا البحث.

الفهارس: اشتملت على فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

---

(١) ومنها: أسباب تفوق الصحابة–رضي الله عنهم– في ضبط الحديث للدكتور سلطان سند العكايلة، والدكتور محمد عيد محمود الصاحب، ط دار ابن الجوزاء ١٩٨٩، ومنها: عوامل ضبط الصحابة–رضي الله عنهم– للسنة النبوية، للدكتور عبد الحمن بن أحمد علوش، بحث مستل من جامعة جازان بالمملكة العربية السعودية لعام ٢٠١٦.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وكان منهج العمل فيه على النحو الآتي :

أولا– بينت مواضع الآيات التي وردت في البحث، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في الهامش، مع وضع الآية بين قوسين.

ثانيا – قمت بتخريج الأحاديث المذكورة من كتب السنة المطهرة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، فإني أكتفي بالتخريج منهما أو من أحدهما.

ثالثا – إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، اجتهدت في الحكم عليه، فأبين درجته من الصحة أو الحسن أو الضعف، وذلك بعد دراسة إسناده، ولم أذكر تلك الدراسة في البحث، وإنما أثبت ثمرتها على سبيل الإجمال.

رابعا – قمت بالتعليق على تلك الأحاديث، وتوضيح معاني الغريب، وغير ذلك مما اقتضته ضرورة البحث، مستعينا في ذلك بكتب الغريب والمعاجم، وشروح الحديث.

والله تعالى نسأل المثوبة والقبول.

مدخل: عوامل ملازمة الضبط[1] والإتقان للصحابة[2] في رواية الحديث.

إن قبول رواية الصحابة والوثوق بمروياتهم يرجع إلى ثلاثة عوامل رئيسة أسهمت إسهاما كبير في ملازمة الضبط والإتقان لهم في رواية الحديث، وهذه العوامل لو توافرت في أي جيل لأسهمت في ضبطه وإتقانه، فما بالنا بهذا الجيل الفريد جيل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وتتمثل هذه العوامل فيما يأتي:

أولاً: المعلم: أفضل الخلق وخاتم النبيين والمرسلين محمد (ﷺ).

ثانياً: المتعلم: الصحابة الكرام رضوان الله عليم أجمعين-خير أمة أخرجت للناس-.

ثالثا: العلم المُلقى: السنة النبوية المشرفة، وفيها صلاح الدين والدنيا.

---

(١) **تعريف الضبط:** عرفه الحافظ ابن حجر فقال: والضَّبْطُ ضبطان:ضَبْطُ صَدْرٍ: وهُو أَنْ يُثْبِتَ ما سَمِعَهُ بحيثُ يتمكَّنُ مِن استحضارِهِ مَتى شاء.وضَبْطُ كِتابٍ: وهُو صيانَتُهُ لديهِ مُنذُ سمِعَ فيهِ وصحَّحَهُ إلى أَنْ يُؤدِّيَ منهُ.وكذا عرفه الحافظ السخاوي .ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، ص ٥٨، ٥٩. تحقيق : عتر. وفتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي ٢٨/١. لشمس الدين السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، ط: مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، تحقيق: علي حسين علي.

(٢) **والصحابة جمع صحابي:** والصحابي هو مَن لَقِيَ النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تَخَلَّلتْ رِدَّةٌ في الأصح، قاله الحافظ ابن حجر، وهو المختار من أقوال المحققين من المحدثين- بعد أن أختلفت أقوال العلماء في تعريفه -؛ فيدخل فيه من طالت صحبته أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالأكِفاء.

ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص١٤٠، لابن حجر العسقلاني ت: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. والإصابة في تمييز الصحابة ٨/١، لابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

المبحث الأول

العامل الأول من عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث: المُعلم رسول الله(ﷺ).

ويرجع أثر هذا العامل في ملازمة الضبط والإتقان للصحابة لأسباب منها:

أولاً: مكانة النبي(ﷺ)، ومنزلته، وفضله، وكمال أخلاقه.

إن مصدر هذا العلم هو المصطفى (ﷺ)، خاتم النبيين والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، والهادي إلى طريقه المستقيم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(١). (٢)

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(٣).

قال الشوكاني-رحمه الله-: قوله يتلو عليهم آياته، أي يتلو عليهم القرآن بعد أن كانوا أهل جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع، ويزكيهم، أي يطهرهم من نجاسة الكفر، ويعلمهم الكتاب، والمراد بالكتاب هنا القرآن،

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦٤).

(٢) قال الشوكاني-رحمه الله-: قوله لقد من الله على المؤمنين، جواب قسم محذوف، وخص المؤمنين لكونهم المنتفعين ببعثته، ومعنى من أنفسهم أنه عربي مثلهم، وقيل: بشر مثلهم ووجه المنة على الأول أنهم يفقهون عنه ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان، ومعناها على الثاني: أنهم يأنسون به بجامع البشرية، ولو كان ملكا لم يحصل كمال الأنس به لاختلاف الجنسية ، ينظر : فتح القدير ٣٩٤/١ .

(٣) سورة الجمعة آية (٢).

والحكمة السنة وإن كانوا من قبل، أي من قبل محمد أو من قبل بعثته، لفي ضلال مبين، أي واضح لا ريب فيه[١].

فالآية الكريمة توضح لنا أن الله بعث نبيه(ﷺ) ليطهر عباده من رذائل الأخلاق ودنس النفوس، ويسمو بهم نحو الرفعة والفضيلة بتعليمهم للقرآن الكريم وللسنة النبوية؛ فهو حريص عليهم يحب لهم الخير، ويحرص على هدايتهم، ويكره لهم الشر، قال سبحانه:﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

ومن شدة حرصه على هدايتم، كاد أن يهلك نفسه حزنا وأسفا على عدم إيمان من كفر منهم، حتى خاطبه ربه بقوله:﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٣]، وقال سبحانه:﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٤]

قال الزمخشري: شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم[٥].

(١) **ينظر : فتح القدير ١/٣٩٤ .**
(٢) سورة التوبة آية (١٢٨).
(٣) سورة الكهف آية (٦).
(٤) سورة الشعراء آية (٣).
(٥)الكشاف للزمخشري ٢/٦٥٨.

فنهاه ربه عن ذلك بقول:﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[١]، وقال سبحانه:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢]، وقال تعالى:﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

تلك الأخلاق العالية، والكمالات الإنسانية، والتربية الربانية، جعلته (ﷺ) حريصا على إيمان هؤلاء القوم حتى كاد يهلك نفسه حزنا وأسفا عليهم، في الوقت الذي يكيدون له فيه المكائد ويتمنون له الشر والقتل، فهو حريص على نفعهم وإيمانهم، وهم حريصون على إيذائه وقتله.

إن كمال الأخلاق متمثل في خلق رسول الله (ﷺ)، قال تعالى مخاطبا نبيه (ﷺ): ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٤]، وقالت السيدة عائشة –رضي الله عنها– حينما سُئلت عَنْ خلقه (ﷺ): " فقَالَتْ للسائل : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قال: بَلَى، قَالَتْ : فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ الْقُرْآنَ"[٥]؛ لذا اقتدى به المسلمون، عملا بقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٦].

قال صاحب التسهيل: رسول الله (ﷺ) جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وشدة الحياء، وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو

(١) سورة النمل آية (٧٠).
(٢) سورة القصص آية (٥٦).
(٣) سورة يوسف آية (١٠٣).
(٤) سورة القلم آية (٤).
(٥) رواه مسلم في صحيحه ، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا ، بَاب جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عنه أو مَرِضَ، ٥١٢/١ (٧٤٦)، جزء من حديث طويل.
(٦) سورة الأحزاب آية (٢١).

وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك، حسبما ورد في أخباره وسيره (ﷺ)، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1][2].

ومن أبلغ ما قيل في وصف تعظيم الصحابة للنبي(ﷺ) ما قاله عروة بن مسعود حين وجهته قريش إلى رسول الله (ﷺ) زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلى أَصْحَابِهِ فقال: أَيْ قَوْمِ؟! والله لقد وَفَدْتُ على الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ على قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، والله إن رأيت مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، والله إن تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا له[3].

كل هذه الأمور جعلته قبلة الناس، وقدوة لهم، يقتدون به، ويسيرون على دربه، يأخذون عنه العلم، وينشرونه بين الناس، فحفظوا السنة في صدورهم وأفئدتهم، وجوارحهم، وسطورهم؛ لما لمسوه فيها من الخير الوفير والنفع العميم في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ١٩١/١٠ (٢٠٥٧١)، بلفظ "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ".وأحمد في مسنده ٣٨١/٢ (٨٩٣٩)، والحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، ٦٧٠/٢ (٤٢٢١)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ " وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: **رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد**١٨٨/٨ .

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل،لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ١٣٧/٤ .

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الشُّرُوطِ، بَاب الشُّرُوطِ في الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مع أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، ٩٧٦/٢(٢٥٨١)، جزء من حديث طويل.

ثانياً:- منهج النبي (ﷺ) في تعليم هؤلاء الصحابة وتربيتهم، ونتحدث فيه عن الأساليب[١] والوسائل[٢] النبوية في التعليم[٣]، والتي جعلت السنة النبوية لديهم سهلة المنال، قريبة إلى الأذهان، ميسورة في الحفظ والإتقان.

قال الزُّرْقاني- رحمه الله-: "أما السنة النبوية فقد ضربت الرقم القياسي في باب هذه السياسة التعليمية الراشدة حتى إذا كان علماء التربية في العصور الحديثة قد عدوا من الحكمة في التعليم والتربية الاستعانة بوسائل الإيضاح وألوان التشويق فإن محمدا (ﷺ) النبي الأمي كان من قبل أربعة عشر قرنا، ومن قبل أن يولد علم التربية وعلم النفس، كان هو المعلم الأول في رعاية تلك الوسائل الموضحة، وهاتيك المشوقات الرائعة، حتى تفتحت قلوب سامعيه للهداية، وامتلأت صدور أصحابه بتعاليمه كأنما كتبت فيها كتابا بالكلمة والحرف[٤]".

---

(١) الأساليب جمع أُسلوب، والأُسلوب -بضم الهمزة-: الطريق والفن، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم:أي على طريق من طرقهم، والأُسْلُوبُ الطريقُ تأخُذُ فيه، وأَخَذَ في أسالِيبِ من القَوْلِ أي أفانِينَ، أو فنون متنوعة.وعليه فأساليب التعليم: هي الطرق والفنون المتنوعة التي يسلكها المعلم في تعليمه. ينظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٧٣ ، ومختار الصحاح للرازي صـ ١٣٠، والمصباح المنير للفيومي٢٤٨/١، وتاج العروس للزبيدي ٧١/٣، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية١/ ٤٤١ مادة (سلب).

(٢) الوسائل جمع وسيلة، والوَسِيْلَةُ: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء.ينظر: لسان العرب ١١/ ٢٧٥، ومختار الصحاح ٣٠٠/١، والمصباح المنير ٦٦٠/٢، تاج العروس ٧٥/٣١، مادة (وسل).والفرق بين الأساليب والوسائل، أن الأساليب في الغالب تكون معنوية،أما الوسائل: ففي الغالب تكون حسية.

(٣) وقد فصلت ذلك في بحثي، "أساليب ووسائل جودة التعليم دراسة تأصيلية من خلال السنة النبوية.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٠٤/١. المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

ولقد أدى النبي (ﷺ) رسالة خير أداء بأفضل أساليب، وأحسن وسائل، فكان (ﷺ) أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا فهو الذي أوتي جوامع الكلم.

ولكي نتعرف على الأساليب النبوية في التعليم لابد أن نتعرف على أهم القواعد التي رَعَاهَا النبي (ﷺ) لإبراز تلك الأساليب.

القاعدة الأولى: مراعاة أحوال المتعلمين.

فلقد كان النبي (ﷺ) حريصا على مراعاة أحوال ألناس المختلفة والمتباينة، وتنوع البيئات التي يعيشون فيه، فطبيعة الحضر تختلف عن البادية، ومن نشأ في عيشة مطرفة خلاف غيره، يتضح ذلك جليا لمن تتبع سيرته وسنته، فمراعاة النبي(ﷺ) لأحوال أصحابه **يُظهر لنا أهم تلك الأساليب ومنها:**

١-مراعاة الفروق الفردية[(١)]:

فلقد راع النبي (ﷺ)الفروق الفردية بين الناس؛ إذ هي أمر فطري طبيعي، فاختلاف العقول والمدارك من شخص لآخر أمر بين واضح، يرجع لأسباب عدة منها البيئة، ومنها الوراثة، يؤيده ما روي عَنْ عَلِيٍّ قالَ: "حدِّثوا الناسَ بما يَعرفونَ، أتُحبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه"[(٢)].

---

(١) ومن أمثلة مراعاة النبي(ﷺ) لتلك الفروق الفردية:ما أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْإِمَارَةِ، بَاب كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ،١٤٥٧/٣ (١٨٢٥) من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا». فلقد راع النبي(ﷺ) حال أبي زر، ولم يجبه لطلبه حبا منه لأبي زر لما علمه من حاله وضعفه وقلة كفاءته.قال النووي :" هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوِلَايَاتِ لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوَظَائِفِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ "شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٠/١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب من خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا،٥٩/١ (١٢٧).

وعن عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ، قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»(١).

٢- التدرج في التعليم:

إن التدرج في التعليم كان منهج النبي(ﷺ) مع أصحابه، يعلمهم شيئا فشيئا، ويدعوهم إليه، يرشدنا إلى ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(٢).

ففي الحديث توجيه نبوي لتبليغ الشرائع بالتدريج بدءًا بالأهم فالمهم.

٣- التكرار في التعليم .

إن التكرار في العملية التعليمية يساعد مَنْ يَقصر فهمه عن حفظ ما يُقال من أول مرة، فكان النبي (ﷺ) يكرر كلامه مراعاة لأمثال هؤلاء، كما يعد كذلك من أهم أساليب جذب الانتباه؛ لأنه ينبه الغافل، ويساعد على حفظه وتيقظه، فكان النبي (ﷺ) يُكرِّرُ حديثَه تأكيداً لمضمونِه، وتنبيهاً للمخاطب على أهمِّيَّته، وليفهَمَه السامعُ ويُتقِنَه، فعَنْ أَنس رضي الله عنه

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، بَاب النَّهْيِ عن الحديث بِكُلِّ ما سمع ١/١١.

(٢) البخاري في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب أَخْذِ الصَّدَقَةِ من الْأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ في الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، ٢/٥٤٤ (١٤٢٥).

عن النبيِّ (ﷺ) أنهُ كانَ إذا تكلَّمَ بكَلِمةٍ أَعادَها ثلاثاً[1] حتى تُفْهَمَ عنْهُ، وإذا أَتى على قوْمٍ فسلَّمَ عليْهِمْ سلَّمَ عليْهِمْ ثلاثاً[2].

القاعدة الثانية: التعزيز في العملية التعليمية والترغيب فيها :

لقد كان لاستخدام النبي (ﷺ) الترغيب والتحفيز في العملية التعليمية بالغ الأثر في نفوس أصحابه، **ولقد تنوعت أساليب المصطفى (ﷺ) في هذا الجانب إلى صور متعددة منها:**

١- تعزيز الجانب القِيَمي[3] لدى الصحابة:

وكان لاعتناء النبي (ﷺ) بهذا الجانب أثره الواضح على أصحابه- رضي الله عنهم- يؤيد ذلك ما رواه الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ

(١) قال الكرماني-رحمه الله-: "أما إعادته الكلام ثلاثا فإما: لأنه كان بحضرته من يقصر فهمه عن حفظ ما يقوله، فيكرر القول ليقع به الفهم إذ هو مأمور بالبيان والتبليغ، وإما: لأن القول الذي يتكلم به نوع من الكلام المشكل فأراد دفع الإشكال وإزالة الشبهة منه ".الكواكب الدراري ٨٦/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب من أَعَادَ الحديث ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عنه،٤٨/١ (٩٤، ٩٥).

(٣) القيمي: نسبة إلى القِيَم، والقيم جمعٌ لكلمة قِيمَة، وهي الشيء ذو المقدار، أو الثمن. ينظر: لسان العرب لابن منظور ٥٠٠/١٢ ، مادة (قوم)، مختار الصحاح ٢٣٢/١، مادة (ق و م). ويقصد بذلك تنمية الجانب الخُلقي والسلوكي لدى الصحابة، فيرتقي بذلك الجانب الوجداني لديهم، فينعكس ذلك على حياتهم العملية وسلوكهم المجتمعي.

لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[١].

في هذا التوجيه النبوي إرشاد لإعلاء هذا الجانب، وبيان بأن المتصرف الحقيقي والمدبر لما في هذا الكون، هو الله –عز وجل– فيزداد اليقين بالخالق، وتنهض الهمم لا تخشى في الله لومة لائم.

٢– الْمُكَافَأَة ولو بِالدُّعَاءِ والمدح:

فالتحفيز والترغيب في العملية التعليمية، ولو بالمدح والثناء، يبعث في نفس المتعلم الشعور بالارتياح لما يبذله من جهد في التعلم، ويحث غيره لنيل هذا الاستحسان.

يوضح ذلك ما رواه الشيخان عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِىَّ(ﷺ) دَخَلَ الْخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ « مَنْ وَضَعَ هَذَا » . فَأُخْبِرَ فَقَالَ « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ[٢] »[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، ٦٦٧/٤ (٢٥١٦)، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: "قَالَ التَّيْمِيُّ: فِيهِ اسْتِحْبَاب الْمُكَافَأَة بِالدُّعَاءِ، وَقَالَ ابن الْمُنِير: مُنَاسَبَةُ الدُّعَاءِ لِابْنِ عَبَّاسٍ بِالتَّفَقُّهِ عَلَى وَضْعِهِ الْمَاءَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ إِمَّا أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ بِالْمَاءِ إِلَى الْخَلَاءِ أَوْ يَضَعَهُ عَلَى الْبَابِ لِيَتَنَاوَلَهُ مِنْ قُرْبٍ أَوْ لَا يَفْعَلَ شَيْئًا فَرَأَى الثَّانِيَ أَوْفَقَ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ تَعَرُّضًا لِلِاطِّلَاعِ وَالثَّالِثُ يَسْتَدْعِي مَشَقَّةً فِي طَلَبِ الْمَاءِ وَالثَّانِي أَسْهَلُهَا فَفِعْلُهُ يَدُلُّ عَلَى ذَكَائِهِ فَنَاسَبَ أَن يَدعِي لَهُ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ لِيَحْصُلَ بِهِ النَّفْعُ" فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٢٤٥/١،ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

(٣) البخاري في صحيحه، كِتَاب الْوُضُوءِ، بَاب وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ،٦٦/١ (١٤٣)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، بَاب فَضَائِلِ عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما،١٩٢٧/٤ (٢٤٧٧).

ففي دعاء النبي (ﷺ) لابن عباس بقوله«اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ» دليل على منزلة ابن عباس في العلم، وتعزيز لفعله، وترغيب وحث على الاستزادة منه، وقد نال ابن عباس في علمه منزلة لم يسبقه أحد إليها.

القاعدة الثالثة: جذب انتباه المتعلم وإثارته:

استخدم النبي (ﷺ) أساليب متعددة، وطرق متباينة، في تعليم أصحابه؛ وذلك إيقاظا لأذهان، وتنشيطا لعقولهم، وتحفيزا لذاكرتهم، **ومن بين تلك الأساليب:**

أسلوب النداء:

والنداء من أهم أساليب جذب الانتباه، يستخدمه الناس جميعا في حياتهم اليومية، ولقد حفلت السنة النبوية بهذا الأسلوب، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ (ﷺ) لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»(١).

وفي رواية عند مسلم قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»(٢).

(١) أخرجه البخاري، كِتَاب اللِّبَاسِ، بَاب إِرْدَافِ الرَّجُلِ خَلْفَ الرَّجُلِ،٥/٢٢٢٤ (٥٦٢٢)، ومسلم، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب الدَّلِيلِ على أَنَّ من مَاتَ على التَّوْحِيدِ دخل الْجَنَّةَ قَطْعًا، ٥٨/١ (٣٠).

(٢) كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب الدَّلِيلِ على أَنَّ من مَاتَ على التَّوْحِيدِ دخل الْجَنَّةَ قَطْعًا، ٥٨/١ (٣٠).

ففي النداء جذب لانتباه السامع، وفي تكراره تأكيد لأهمية ما سيلقى عليه.

القاعدة الرابعة: التشويق والإثارة، والاستنتاج والاستكشاف.

إن من أهم أساليب إيقاظ العقل، وإثارة الذهن واستدعائه، استخدام أسليب التشويق والإثارة، والاستنتاج والاستكشاف؛ حيث إن ذلك يبعث في النفس الرغبة إلى معرفة الشيء المشوق، فيدفعه ذلك إلى الاستنتاج والاستكشاف، ولقد حفلت السنة بذلك كثيرا **ومن أهم تلك الأساليب:**

أسلوب الاستفهام:

والمراد منه دفع المتعلم للوصول إلى الجواب بنفسه، وذلك من خلال إلقاء المسألة عليه، ليرغبه في الوصول إلى الاستنتاج، فيساعده ذلك على إعمال الفكر والعقل، وهذا الأسلوب يُظهر تفاوت العقول وقدراتها المختلفة، كما أنه يزرع في المتعلم الثقة بنفسه، وهذا ما يطلق عليه بالعصف الذهني[١].

يشهد لذلك من السنَّة النبوية ما أخرجه البخاري في صحيحه، عَنِ ابْنِ عُمَرَ –رضي الله عنهما–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ

(١) العصف الذهني أو القدح الذهني، وهو أحد أساليب الإبداع الجماعي حيث تحاول المجموعة إيجاد حل لمشكلة ما عن طريق تجميع قائمة من الأفكار والحلول التي يساهم بها أفراد المجموعة بشكل عفوي. بمعنى آخر، اجتماع مجموعة من الأشخاص من اجل إيجاد فكرة جديدة أو حل لمشكلة ما ولكن بطريقة مختلفة نوعا ما، تقوم هذه الطريقة على مبدأ العفوية والابتعاد عن النقد والمُعيقات، حيث يُسمح للجميع بطرح الأفكار والحلول التي تخطر ببالهم دون الخوف من الانتقاد أو الرفض، ثم يتم تدوين جميع هذه الأفكار ومن ثم تقييمها في محاولة للوصول إلى حل.

ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة رابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B5%D9%81_%D8%B0%D9%87%D9%86%D9%8A.

شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ[1]» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ[2]»[3].

وقد عنون البخاري الباب بقوله: بَاب طَرْحِ الْإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ على أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ ما عِنْدَهُمْ من الْعِلْمِ، فكان النبي (ﷺ) يَسأَلُ أصحابَه، ليُثيرَ فِطْنَتَهم، ويُحرِّك ذكاءَهم؛ ليَختَبِر ما عندهم من العلم.

القاعدة الخامسة: الإقناع العقلي:

إن تفاوت عقول الناس ومداركهم أمر فطري طبيعي، لذا تختلف استجاباتهم لبعض الأمور، فينبغي على المعلم أن يراعي ذلك.

ومن الأساليب التي تعين على ذلك: أسلوب الحوار[4] والإقناع العقلي، أو ما يسمى بالمحاكاة العقلية[1].

---

(١) قال ابن بطال: "قال المهلب: معنى طرح المسائل على التلاميذ لترسخ في القلوب وتثبت، لأن ما جرى منه في المذاكرة لا يكاد ينسى". شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٤١/١ .

(٢) قال النووي: "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدُ مِنْهَا اسْتِحْبَابُ إِلْقَاءِ الْعَالِمِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ أَفْهَامَهُمْ وَيُرَغِّبَهُمْ فِي الْفِكْرِ وَالِاعْتِنَاءِ وَفِيهِ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْبَاهِ وَفِيهِ تَوْقِيرُ الْكِبَارِ كَمَا فَعَلَ بن عُمَرَ لَكِنْ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْكِبَارُ الْمَسْأَلَةَ فَيَنْبَغِي لِلصَّغِيرِ الَّذِي يَعْرِفُهَا أَنْ يَقُولَهَا وَفِيهِ سُرُورُ الْإِنْسَانِ بِنَجَابَةِ وَلَدِهِ وَحُسْنِ فَهْمِهِ ...". شرح النووي ١٥٤/١٧ .

(٣) كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب طَرْحِ الْإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ على أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ ما عِنْدَهُمْ من الْعِلْمِ، ٣٤/١ (٦٢)، وبَاب الْحَيَاءِ في الْعِلْمِ وقال مُجَاهِدٌ لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ ولا مُسْتَكْبِرٌ وَقَالَتْ عَائِشَةُ نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لم يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ في الدِّينِ،٦١/١ (١٣١)، وزاد فيها" قال عبد اللَّهِ فَحَدَّثْتُ أبي بِمَا وَقَعَ في نَفْسِي فقال لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إلي من أَنْ يَكُونَ لي كَذَا وَكَذَا". ومسلم في صحيحه، كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَاب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ،٢١٦٤/٤ (٢٨١١).

(٤) الحوار: أصله من الحَوْر، وهو الرجوع عن الشيء وإلى شيء، وكل شيء تغير من =

يشهد لذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أَبي أُمَامَةَ ، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: " ادْنُهْ"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ : "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ "، قَالَ:لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ "، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ(٢).

فلقد قاد النبي (ﷺ) هذا الشاب بأسلوب حكيم إلى الاعتراف بخطئه وسوء طلبه، أسلوب الحوار الهادئ، القائم على التعقُّل والمنطق، أسلوب تخلله إثارة للفطرة السليمة، وإيقاظ لإيمان الروح والمشاعر، فلم يعنفه، ولم يقبحه، رغم قبح هذا الطلب منه، مما قاده إلى الاقتناع والرجوع عن الخطأ.

=

حال إلى حال فقد حار يحور حورا . والمُحَاوَرَةُ: المُجَاوَبَةَ و مُرَاجَعَةُ النُّطْق والكَلاَم في المُخَاطَبَة، وقد حَاورَه وَتَحَاوَرُوا تَرَاجَعُوا الكَلاَمَ بَيْنَهُم. ينظر: لسان العرب مادة (حور) ٢١٧/٤، ٢١٨. وتاج العروس مادة (ح و ر) ١١ / ١٠٧ ،١٠٨ .

(١) المحاكاة: هي "طريقة أو أسلوب تعليمي يستخدمه المعلم عادة لتقريب الطلبة إلى العالم الواقعي الذي يصعب توفيره للمتعلمين بسبب التكلفة المادية أو الموارد البشرية".

ينظر رابط على الانترنت:

https://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/479834

(٢)أحمد في مسنده ٢٥٦/٥ (٢٢٢٦٥)،قلت: إسناده صحيح.

القاعدة السادسة: تقريب المعاني للعقول والأفهام:

ومن الأساليب التي تعين على ذلك: ضرب الأمثال، والتشبيه؛ لتقريب الحقائق إلى الأذهان، وهو أسلوب فعال في تقريب المعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة؛ لترسخ في الذهن، وهو أسلوب حكيم جاء به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾(٢).

كما جاءت به السنة النبوية المطهرة، ومن ذلك قول النبي (ﷺ): "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟(٣) قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ(٤) "(٥).

فضرب الأمثال أسلوب فعال في تقريب المعاني للأفهام، لتَرْسخ في الأذهان.

---

(١) سورة النور من الآية (٣٥) .

(٢) سورة إبراهيم من الآية(٤٥)

(٣) قال العيني–رحمه الله–: "شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق بدار أسس قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع لبنة، فنبينا (ﷺ)بعث لتتميم مكارم الأخلاق كأنه هو تلك اللبنة التي بها إصلاح ما بقي من الدار". عمدة القاري ٩٨/١٦ .

(٤) قال ابن حجر–رحمه الله– :"وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي (ﷺ) على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين". فتح الباري ٥٥٩/٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْمَنَاقِبِ، بَاب خَاتِمِ النَّبِيِّينَ (ﷺ)، ١٣٠٠/٣ (٣٣٤١، ٣٣٤٢)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الْفَضَائِلِ، بَاب ذِكْرِ كَوْنِهِ (ﷺ)خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، ١٧٩٠/٤، ١٧٩١(٢٢٨٦).

أما عن الوسائل النبوية:

فقد استعمل النبي (ﷺ) ألونا مختلفة من وسائل البيان والإيضاح، يدل على ذلك ما رواه الترمذي في جامعه من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: " مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا [١] وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ"[٢].

ومن هذه الوسائل، الإجادة في استخدام الوسائل السمعية والبصرية.

وكان هذا منهج النبي (ﷺ) مع أصحابه فكان (ﷺ) يرفع صوته إذا دعت الحاجة لذلك من كثرة عدد، أو إنكار أو زجر، ونحو ذلك، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ (ﷺ) فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا –وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ – وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ[٣]: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا[٤].

ففي قوله "فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ"، استحباب رفع الصوت في بيان المسائل المهمة جذبا لانتباه السامعين، وتنبيها لبعض الغافلين.

ومن ذلك أيضا سكوته (ﷺ) إذا دعت الحاجة لذلك؛من جذب انتباه سامع، يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيْرَة رضي

---

(١) قال المباركفوري: "وَالْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يُتَابِعُ الْحَدِيثَ اِسْتِعْجَالًا بَعْضَهُ إِثْرَ بَعْضٍ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ عَلَى الْمُسْتَمِعِ، زَادَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ رِوَايَةِ اِبْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ يُونُسَ : إِنَّمَا كَانَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَصْلًا فَهْمًا تَفْهَمُهُ الْقُلُوبُ" تحفة الأحوذي ٨٥/١٠ .

(٢) الترمذي في جامعه، كِتَاب الْمَنَاقِبِ عن رسول اللَّهِ (ﷺ)، بَاب في كَلَامِ النبي (ﷺ)، ٦٠٠/٥ (٣٦٣٩)، وقَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٣) قال العيني– رحمه الله–:"والعالم قد يحتاج إلى رفع الصوت في الجواب لأجل غفلة السائل ونحوها لا سيما إذا كان سؤاله وقت اشتغال العالم لغيره". عمدة القاري ٧/٢.

(٤) أخرجه الشيخان، البخاري، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب من رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْعِلْمِ، ٣٣/١ (٦٠)، ومسلم، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَاب وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ بِكَمَالِهِمَا، ٢١٤/١ (٢٤١).

الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا اليَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ فَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»(١).

- أما عن الاتصال البصري، فإنه يساعد على الفهم، وأبعد عن الغفلة.

يوضح ذلك، ما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ وَالنَّبِيُّ (ﷺ) يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتَ يَا فُلاَنُ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ»(٢).

ففي الحديث ما يدل على متابعة النبي (ﷺ) لأصحابه من على المنبر وتفقده لهم ببصره، وهذا مما يساعد على الفهم، وأبعد عن الغفلة؛ لما فيه من إيقاظ للهمم، وحث على التلقي والفهم.

ومن هذه الوسائل أيضا: استخدام لغة الجسد.

إن مما يساعد على توصيل المعارف والمعلومات بيسر وسهولة استخدام أكثر من وسيلة في التعليم كالجمع بين القول – الإلقاء– والإشارة مثلا؛ لأن ذلك أثبت في الذهن، وأبلغ في الإيضاح والبيان، وقد كان ذلك منهج النبي(ﷺ) مع أصحابه.

(١) كِتَاب الْجُمُعَةِ، بَاب هل على من لم يَشْهَدْ الْجُمُعَةَ غُسْلٌ من النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ ١/٣٠٥ (٨٥٦).

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْجُمُعَةِ بَاب إذا رَأَى الْإِمَامُ رَجُلًا جاء وهو يَخْطُبُ أَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، ١/٣١٥ (٨٨٨). ومسلم، كِتَاب الْجُمُعَةِ، بَاب التَّحِيَّةُ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، ٢/٥٩٦ (٨٧٥) بنحوه.

ومن بين تلك الوسائل، استخدام حركات اليد ونحوها، وهذا مما يعبر عنه بلغة الجسد ومنها:

١- استخدام الإشارة:

فاستخدام الإشارة كان منهج النبي(ﷺ) في تعليم أصحابه؛ لما لها من فوائد عدة منها، زيادة البيان، والاختصار، وتأكيد مضمون الكلام، وجذب انتباه السامع.

يوضح ذلك حديث رَسُول اللَّهِ (ﷺ): «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا[١]» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا[٢] شَيْئًا[٣]".

ففي الحديث بيان بالإشارة لقرب كافل اليتم من النبي (ﷺ) في الجنة، وحث على هذا الفعل، لمن أراد أن ينال تلك المنزلة.

٢- استخدام تعابير الوجه:

وهذه الوسيلة من أهم الوسائل؛ لأنها تزيد التواصل، كما أنها تعزز وترغب في الطلب والاستفادة، ومن صورها الابتسام عند الضرورة، والغضب إذا دعت الحاجة لذلك، والناس في ذلك متفاوتون، فمنهم من تؤثر فيه النظرة الحادة، وهي كافية في زجره وردعه، ومنهم من تؤثر فيه الابتسامة فتزيد من عزيمته وهمته.

---

(١) قَالَ ابن بَطَّالٍ-رحمه الله-:" حَقٌّ عَلَى مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي الْجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ".شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢١٧/٩ .

(٢) قال ابن حجر-رحمه الله-: "وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا أَيْ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَيْنَ دَرَجَةِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَكَافِلِ الْيَتِيمِ قَدْرَ تَفَاوُتِ مَا بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى". فتح الباري ٤٣٦/١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الطَّلَاقِ ، بَاب اللِّعَانِ، ٢٠٣٢/٥ (٤٩٩٨). وكِتَاب الْأَدَبِ، بَاب فَضْلِ من يَعُولُ يَتِيمًا،٢٢٣٧/٥ (٥٦٥٩).

يوضح ذلك ما رواه أَنَس، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ[1]، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ» ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ، فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: «أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا»[2].ففي تغير وجه النبي (ﷺ) إنكار لهذا الفعل، وتنبيه للغير عن الوقوع فيه.

٣- تغيير الهيئة أثناء الإلقاء:

وهذا مما يساعد على جذب الانتباه، وتأكيد الأمر الملقى، فتغيير الجلسة، أو الهيئة، كان منهج النبي (ﷺ) مع أصحابه، يوضح ذلك ما رواه الشيخان من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[3].

ففي جلوس النبي (ﷺ) بعد أن كان متكئا، تنبيه وتأكيد لأهمية هذا الأمر، ولذا كرره أيضا حتى قال أصحابه ليته سكت إشفاقا عليه.

---

(١) قال القسطلاني: "قَوْلُهُ حَتَّى رؤى أَيْ شُوهِدَ فِي وَجْهِهِ أَثَرُ الْمَشَقَّةِ، وفي رواية النسائي فغضب حتى احمرّ وجهه". إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٤١٩/١، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب المساجد، بَاب حَكِّ الْبُزَاقِ بِالْيَدِ من الْمَسْجِدِ، ١٥٩/١ (٣٩٧).

(٣) البخاري في أكثر من موضع منها، كِتَاب الشَّهَادَاتِ، بَاب ما قِيلَ في شَهَادَةِ الزُّورِ، ٩٣٩/٢ (٢٥١١). ومسلم في صحيحه، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، ٩١/١ (٨٧).

ومنها استخدام الرسوم التوضيحية أو ما يسمى(بالخرائط الذهنية):

إن استخدام الرسوم التوضيحية من أهم الوسائل التي تساعد في إيصال المعلومات بشكل أفضل وأيسر، وكان هذا منهج النبي (ﷺ) مع أصحابه يجمع بين الإلقاء والرسم زيادة في البيان والإيضاح، ومن ذلك ما رواه احمد في مسنده من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ : " تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ "، فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ "[(١)]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ. وعن عَبْد اللَّهِ بن مسعود ، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا "، قَالَ : ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٢)(٣)].

فقد استخدام النبي (ﷺ) الرسم على الأرض زيادة في البيان والإيضاح.

وبالجملة فتنوع الأساليب والوسائل النبوية في التعليم كان لها بلغ الأثر في حفظ الصحابة وإتقانهم.

---

(١) أحمد في مسنده ٢٩٣/١ (٢٦٦٨).وإسناده صحيح.

(٢) سورة الأنعام الآية(١٥٣).

(٣)أخرجه أحمد في مسنده ٤٦٥/١ (٤٤٣٧). وإسناده حسن؛ فيه: عاصم بن بهدلة صدوق، وبقية رجاله ثقات. قال ابْن أَبِي حَاتِم في عاصم بن بهدلة: وسألت أَبَا زُرْعَة عنه فقال ثقة قال: وذكره أَبِي فقال : محله عندي محل الصدق صالح الحديث وليس محله أن يقال هو ثقة ولم يكن بالحافظ وقد تكلم فيه ابْن عُلَيَّة فقال كان كل من اسمه عَاصِم سيء الحفظ . وقال النَّسَائِي : ليس به بأس . ينظر ترجمته: الجرح والتعديل (٣٤٠/٦)، الثقات(٢٥٦/٧)، تهذيب التهذيب (٣٥/٥)، تقريب التهذيب (٢٨٥/١).

المبحث الثاني

العامل الثاني من عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث: المُتَعلم ـ الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ـ.

ويرجع أثر هذا العامل في ملازمة الضبط والإتقان للصحابة لأسباب منها:

أولاً:-اختيار الله -عز وجل- لهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

اختار الله -عز وجل- لصحبة نبيه محمد (ﷺ)، خير الناس وأفضلهم، وشرفهم بذلك، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ليكونوا عونا لأفضل الأنبياء والمرسلين، فناسب ذلك كونهم أخير الناس، فحملوا راية الدين إلى أرجاء الدنيا، وقدموا الغالي والنفيس إعلاء للحق ونصرة لدين الله -عز وجل-، قال تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

قال الشوكاني -رحمه الله- : "مَعْنَاهُ: كُنْتُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَقِيلَ: كُنْتُمْ مُنْذُ آمَنْتُمْ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ خَيْرُ الْأُمَمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وأن هذه الخيرية مُشْتَرَكَةٌ مَا بَيْنَ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَآخِرِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاضِلَةً فِي ذَاتِ بَيْنِهَا. كَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ. قَوْلُهُ: أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَيْ:أُظْهِرَتْ لَهُمْ"[2]، ولذلك كانت منزلة الصحابة أعظم منزلة، ورتبتهم أعلى رتبة.

وقال النبي (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ، إِلا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ لِي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً فَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أَصْحَابِي، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، وَفِي كُلِّ أَصْحَابِي خَيْرٌ"،

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١١٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني ٤٢٥/١. ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

وزاد فيه عَبْد اللَّهِ بْن صالح:" وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَى جَمِيعِ الأُمَمِ، فَبَعَثَنِي فِي خَيْرِ قَرْنٍ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِث، تَتْرَى ثُمَّ الرَّابِع فُرَادَى(١)".

وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):" خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ "، قَالَ عِمْرَانُ : فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ(٢) "(٣).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ٣١١/٢ قال: أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ الْقَاسِمُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الأَثْرَمِ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ الْقَنْطَرِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالا : حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ...فذكره. قلت:إسناده صحيح فيه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ضعيف وقرن بابن أبي مريم في نفس الإسناد وهو ثقة.

(٢) قال ابن حجر: "وَقَوْلُهُ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ –بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْمِيمِ بَعْدَهَا نُونٌ– أَيْ يُحِبُّونَ التَّوَسُّعَ فِي الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَهِيَ أَسْبَابُ السِّمَنِ بِالتَّشْدِيدِ، قَالَ ابن التِّينِ: الْمُرَادُ ذَمُّ مَحَبَّتِهِ وَتَعَاطِيهِ لَا مِنْ تَخَلَّقَ بِذَلِكَ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ يَظْهَرُ فِيهِمْ كَثْرَةُ الْمَالِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَتَسَمَّنُونَ أَيْ يَتَكَثَّرُونَ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ وَيَدَّعُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الشَّرَفِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ ذَلِكَ مُرَادًا، وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ بِلَفْظِ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَتَسَمَّنُونَ وَيُحِبُّونَ السِّمَنَ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي تَعَاطِي السَّمْنِ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَهُوَ أَوْلَى مَا حُمِلَ عَلَيْهِ خَبَرُ الْبَابِ وَإِنَّمَا كَانَ مَذْمُومًا لِأَنَّ السَّمِينَ غَالِبًا بَلِيدُ الْفَهْمِ ثَقِيلٌ عَنِ الْعِبَادَةِ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ".فتح الباري ٢٦٠/٥.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، بَاب فَضَائِلِ أَصْحَابِ النبي (ﷺ) ١٣٣٥/٣ (٣٤٥٠).

قال العيني –رحمه الله–: قوله (خير أمتي قرني): أي أهل قرني، وهم الصحابي، والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ "(٢) .

قال الطِّيبي –رحمه الله–: " والمعنى أنه لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضيلة والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصفه لما يقارنه من مزيد الإخلاص وصدق النية وكمال النفس.أقول: ويمكن أن يقال: إن فضيلتهم بحسب فضيلة إنفاقهم وعظم موقعه، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾(٣)، من قبل الفتح أي قبل فتح مكة، يعني قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، هذا في الإنفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل أرواحهم ومهجهم وفراغهم بين يدي رسول الله (ﷺ) وغير ذلك"(٤).

فدلت تلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية –وغيرها الكثير– على فضل هؤلاء الصحابة الكرام وكمال منزلتهم، وأن الله –عز وجل– اختارهم لنبيه (ﷺ) ليكونوا عونا وسندا ونصرة لهذا الدين، فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

---

(١) عمدة القاري ١٦/١٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، بَاب قَوْلِ النبي (ﷺ) لو كنت مُتَّخِذًا خَلِيلًا، ٣/١٣٤٣ (٣٤٧٠).

(٣) سورة الحديد من الآية (١٠).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ١٢/٣٨٤١. وينظر: إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض ٧/٥٨٠.

ثانياً: قوة إيمانهم وتقواهم وحبهم لله ولرسوله .

وقد عرف عن الصحابة قوة إيمانهم، وتقواهم، وورعهم، وصدق يقينهم، وشدة حبهم لله ولرسوله، وحرصهم على دين الله تعالى، حتى تملك هذا الحب مشاعرهم، ودفعه إلى التسابق والتسارع إلى كتاب الله يأخذونه ويحفظونه ويتعلمونه، ويعملون به، وإلى سنته يحيطون بأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته، فيقتدون به ويهتدون بهديه، ممتثلين في ذلك قوله سبحانه:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[١]"، فنالت سنته (ﷺ) عندهم مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، في الحفظ والإتقان والعناية والضبط، حتى امتدحهم الله –عز وجل– بقوله:﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢]، ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٣]. فكان حب الصحابة لله ورسوله من أقوى العوامل على حفظهم كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ).

ثالثاً–علو إسنادهم .

فقد روى الصحابة عن رسول الله (ﷺ) بلا واسطة، فلا يوجد إسناد يشغلهم عن مرادهم، فيقع الوهم والخطأ، فكانوا منشغلين بما يخرج من فيه رسول الله (ﷺ)، خلافا لمن جاء بعدهم، فعلو الإسناد أبعد من الخطأ والعلة من نزوله، فإذا كثر الرواة كثر احتمال الخطأ، وإذا قل الرواة قل احتمال الخطأ.

(١) سورة آل عمران من الآية (٣١).
(٢) سورة الفتح آية (١٨).
(٣) سورة التوبة من الآية (١٠٠).

رابعاً: طبيعة البيئة التي عاشوا فيها .

كان العرب أمة أمية؛ لا يعرفون القراءة ولا الكتابة اللهم إلا نزر يسير منهم، مما جعلهم يعولون على حافظتهم وذاكرتهم فيما يهمهم حفظه وذكره، ومن هنا كان تعويل الصحابة على حوافظهم في الإحاطة بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)؛ لأن الحفظ هو السبيل الوحيدة أو الشبيهة بالوحيدة إلى إحاطتهم بهما(١).

خامساً:- سيلان أذهانهم وقوة حافظتهم.

إن الصحابة كانوا أمة يضرب بها المثل في الذكاء والألمعية وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن وحدة الخاطر وفي التاريخ العربي شواهد على ذلك يطول بنا تفصيلها ولعلها على بال منك. حتى لقد كان الرجل منهم ربما يحفظ ما يسمعه لأول مرة مهما كثر وطال وربما كان من لغة غير لغته ولسان سوى لسانه وحسبك أن تعرف أن رؤوسهم كانت دواوين شعرهم وأن صدورهم كانت سجل أنسابهم وأن قلوبهم كانت كتاب وقائعهم وأيامهم كل أولئك كانت خصائص كامنة فيهم وفي سائر الأمة العربية من قبل الإسلام ثم جاء الإسلام فأرهف فيهم هذه القوى والمواهب وزادهم من تلك المزايا والخصائص بما أفاد طبعهم من صقل ونفوسهم من طهر وعقولهم من سمو خصوصا إذا كانوا يسمعون لأصدق الحديث وهو كتاب الله ولخير الهدى وهو هدي محمد (ﷺ) (٢).

سادسا:-بساطة العيش والزهد في الدنيا.

بساطة هذه الأمة العربية واقتصارها في حياتها على ضروريات الحياة من غير ميل إلى الترف ولا إنفاق جهد أو وقت في الكماليات. وهذه الحياة الهادئة الوادعة وتلك العيشة الراضية القاصدة توفر الوقت والمجهود وترضي

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٩١/١ بتصرف يسير.
(٢) المصدر السابق ٢٩٣/١.

الإنسان بالموجود ولا تشغل البال بالمفقود. ولهذا أثره العظيم في صفاء الفكرة وقوة الحافظة وسيلان الأذهان خصوصا أذهان الصحابة في اتجاهها إلى حفظ القرآن وحديث النبي عليه الصلاة والسلام(١).

يقول مصطفى صادق الرافعي: "ومن القواعد المطردة التي تبنيناها من البحث في التاريخ العربي، أن كل شيء للعرب إذا تعلق به سبب من الدين جاءوا فيه بالمعجزات التي يبزون فيها الأمم كافة ويجعلونها من أنفسهم طبقة التاريخ وحدها، ولم نر هذه القاعدة تخلفت في أمر من أمورهم؛ وهي بعض ما خص به هذا الدين الحنيف الذي وجد العالم في كتابه الكريم معجزته الخالدة.

وبعد: فإن الحافظة نفسها تتفاوت درجاتها في الناس؛ وتتفاوت في أدوار الحياة للشخص الواحد باعتبار الأسباب الوراثية والآفات والعلل وما يكون من الإهمال والاستعمال، كما تختلف قوة وضعفًا في بعض أنواع المحفوظات دون بعضها، على حسب ما ركب في الفطرة وما تمس إليه الحاجة؛ فليس ما يحفظه الرياضي، بالذي يستطيعه المحدث أو اللغوي، ولا حفظ هذين كحفظ غيرهم من أهل الطبقات الأخرى، وهلم جرا. وإن نوادر الحفظ التي تُروى عن العرب إنما جاءت عن أفراد رزقوا سمو هذه القوة الطبيعية، وتفرغوا لها برهة العمر مما يشغل الذرع، ويملك الطاقة، ويقسم القلب، ويشعث الفكر؛ فلم يكن من العجيب أن يحفظوا ما حفظوه، ولكن العجيب أن لا يكونوا قد حفظوا أكثر من ذلك؛ فأولئك قوم هيأهم الله لما برعوا فيه بالأسباب الآخذة إليه، والعلل المقصورة عليه؛ فاجتمعت له أنفسهم، وتوفرت قواهم، وفرغت أذهانهم؛ حتى لم يكن من هم أحدهم إلا أن يرى نفسه شخصًا للعلم الذي هو بسبيله، فيقال فلان صاحب الفن والفن هو فلان"(٢).

(١) ينظر :مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٩٤/١.
(٢) تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي ١٩٦/١.

سابعا:- التطبيق العملي لما تحملوه.

كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أحرص الناس على تطبيق تعاليم دينهم، يدل على ذلك قول أبي الدرداء رضي الله عنه: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا وُقِفْتُ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي : قَدْ عَلِمْتَ، فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ "(١).

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ)، أَنَّهُمْ كَانُوا «يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَشْرَ آيَاتٍ»، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَل"(٢).

فالتطبيق العملي للسنة النبوية ساعد الصحابة الكرام على الرسوخ في الذهن وعدم النسيان.

قال الزرقاني -رحمه الله-:"وما من شك أن العمل بالعلم يقرره في النفس أبلغ تقرير وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس من أن التطبيق يؤيد المعارف والأمثلة تقيد القواعد ولا تطبيق أبلغ من العمل ولا مثال أمثل من الاتباع خصوصا المعارف الدينية فإنها تزكو بتنفيذها وتزيد باتباعها"(٣).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢١٣/١، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلالٍ ، قَالَ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، يَقُولُ ...فذكره، قلت وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٤١٠/٥ (٢٣٥٢٩)، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبدِ الرَّحْمَنِ، قلت: فيه: عَطَاء بْن السَّائِب بْن مَالِك، صدوق اختلط بآخره، وقال النَّسَائِي: ثقة في حديثه القديم إلا أَنَّه تغير ورواية حَمَّاد بْن زَيد وشُعْبَة وسُفْيَان عنه جيدة . وقال أَبُو حَاتِم : محله الصدق قديماً قبل أن يختلط. ينظر ترجمته: الجرح والتعديل (٣٣٣/٦) ، المغني في الضعفاء (٤٣٤/٢) ، الكاشف (٢٢/٢) ، تهذيب التهذيب (١٨٣/٧) ، تقريب التهذيب (ص : ٣٩١) .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٣١١/١.

ثامنا:- عرضهم ما تعلموه على رسول الله (ﷺ) ومراجعته معه.

فلقد كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين كل الحرص على حفظ السنة النبوية وتبليغها والعمل بها، ومراجعتها أمام النبي (ﷺ) ليستبينوا منها ويتضح مراده (ﷺ) فيما أشكل عليهم، فترسخ في الذهن ولا تكاد تنسى، ومن ذلك: ما أخرجه البخاري عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ". قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»[1].[2]

تاسعا:- دعائه (ﷺ) لهم بالحفظ والفهم، وحرصه على ذلك.

ولقد كان لدعاء النبي (ﷺ) لبعض أصحابه بالحفظ والفهم بالغ الأثر في حفظهم للسنة وروايتها ومن ذلك دعاؤه (ﷺ) لابن عباس، يدل على ذلك: ما رواه الشيخان عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) دَخَلَ الْخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ

(١) البخاري في صحيحه، كِتَاب الْوُضُوءِ، بَاب فَضْلِ من بَاتَ على الْوُضُوءِ،٩٧/١ (٢٤٤).

(٢) فمراجعة النبي (ﷺ) للصحابي الجليل، كانت لبيان أن دلالة ونبيك خلاف ورسولك. قال بعض العلماء: لم يرد النبى(ﷺ) برده على البراء تحرى قوله فقط، وإنما أراد بذلك ما فى قوله: ونبيك الذى أرسلت – من المعنى الذى ليس فى قوله: ورسولك الذى أرسلت – وذلك أنه إذا قال: ورسولك الذى أرسلت يدخل فيه جبريل وغيره من الملائكة الذين هم رسل الله إلى أنبيائه وليسوا بأنبياء، فأراد بقوله: ونبيك الذى أرسلت – تلخيص الكلام من اللبس أنه المراد (ﷺ) بالتصديق بنبوته بعد التصديق بكتابه الذى أوحى الله تعالى إليه وأمرهم بالإيمان به، وإن كان غيره من رسل الله أيضًا واجب الإيمان بهم، وهذه شهادة الإخلاص والتوحيد التي من مات عليها دخل الجنة، ألا ترى قوله (ﷺ): فإن مت مت على الفطرة – يعنى فطرة الإيمان.ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٦٦/١ .

لَـهُ وَضُـوءًا قَـالَ « مَـنْ وَضَـعَ هَـذَا » . فَـأُخْبِرَ فَقَـالَ « اللَّهُـمَّ فَقِّهْـهُ فِـى الدِّينِ »[1].

ففي دعاء النبي (ﷺ) لابن عباس بقوله«اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ» دليل علـى منزلـة ابـن عبـاس فـي العلـم، وتعزيـز لفعلـه، وترغيـب وحـث علـى الاستزادة منه، وقد نال ابن عباس في علمه منزلة لم يسبقه أحد إليها، فكان حبر الأمة وترجمان القرآن.

–ويشهد لذلك أيضا ما رواه البخاري في صحيحه عن أبـي هُرَيْرَةَ قال قلت يـا رَسُولَ اللَّـهِ إنـي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ، قال ابْسُطْ رِدَاءَكَ، فَبَسَطْتُهُ، قال فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قال ضُمَّهُ، فَضَمَمْتُهُ فما نَسِيتُ شيئا بَعْدَهُ[2]".

فِي الْحَدِيثِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ وَمُعْجِزَةٌ وَاضِحَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ؛ لِأَنَّ النِّسْيَانَ مِنْ لَوَازِمِ الإنسان وقد اعترف أبو هريرة بأن كَانَ يَكْثُرُ مِنْهُ ثُمَّ تَخَلَّفَ عَنْهُ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ (ﷺ)[3].

(١) البخاري في صحيحه، كِتَاب الْوُضُوءِ، بَاب وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ،٦٦/١ (١٤٣)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، بَاب فَضَائِلِ عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما،١٩٢٧/٤ (٢٤٧٧).

(٢)كِتَابَةِ الْعِلْمِ ، بَاب حِفْظِ الْعِلْمِ،٥٦/١ (١١٩).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٢٢٦/١٠، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)،ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

عاشرا:- منهج الصحابة الكرام في رواية الحديث وتثبتهم فيه.

لقد تميز الصحابة الكرام بحرصهم الشديد على حديث رسول الله (ﷺ)؛ لما أدركوه من أن العزة والسعادة والفلاح في الاهتداء بهديه، والسير على دربه، فأقبلوا عليه بعزيمة صادقة، وأفئدة واعية، وتحروا فيه الدقة والأمانة والتثبت في النقل والرواية.

يقول العلامة الزرقاني-رحمه الله-:" إن الناظر في تاريخ الصحابة يَرُوعُه ما يعرفه عنهم في تثبتهم أكثر مما يَرُوعُه عنهم في حفظهم؛ لأن التثبت فضيلة ترجع إلى الأمانة الكاملة والعقل الناضج"(١).وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، قَالَ: «التَّثَبُّتُ نِصْفُ الْعِلْمِ»(٢).

ولقد كان من تثبتهم في رواية الحديث رحلتهم في طلبه، مما جعلهم يرحلون في طلب الحديث الواحد من بلد إلى بلد، ومن ذلك ما رواه الدارمي في سننه قال: أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بنْ مُسلِمٍ، عَنْ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بِنْ يزيدِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بُسْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ: "إِنْ كُنْتُ لَأَرْكَبُ إِلَى مِصْرٍ مِنْ الْأَمْصَارِ فِي الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ لِأَسْمَعَهُ"(٣).

والأمثلة على تثبت الصحابة كثيرة منها: ما جاء من تثبت أبي بكر رضي الله عنه في ميراث الجدة(٤)، قال الذهبي: أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة وخليفة رسول الله، كان أول من احتاط في قبول

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٣١٦/١.
(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١٦٦.
(٣) سنن الدارمي، بَاب الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَاحْتِمَالِ الْعَنَاءِ فيه، ١٤٩/١(٥٦٣).
(٤)أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفرائض،٣٧٦/٤ (٧٩٧٨)،من حديث قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ، قَالَ: جَاءَتِ الْجَدَّةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَتْ: إِنَّ لِي حَقًّا إِنَّ ابْنَ ابْنٍ أَوِ ابْنَ ابْنَةٍ لِي مَاتَ، قَالَ: مَا عَلِمْتُ لَكِ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقًّا وَلَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِيهِ شَيْئًا وَسَأَسْأَلُ النَّاسَ، فَسَأَلَهُمْ فَشَهِدَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَعْطَاهَا السُّدُسَ» قَالَ: مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعَكَ؟ فَشَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَأَعْطَاهَا أَبُو بَكْرٍ السُّدُسَ وقال:«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

الأخبار[١]. وقال أيضا:"إِنَّ مُرَادَ الصِدِّيقِ التَثَبُّتَ فِي الأَخْبَارِ وَالتَحَرِّي، لاَ سَدَّ بَابَ الرِوَايَةِ"[٢].

ومنها تثبت عمر من حديث أبي موسى في الاستئذان[٣]،وقد جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِأَبِي مُوسَى أَمَا إِنِّي لَمْ أَتَّهِمْكَ وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ لَا يَتَجَرَّأَ النَّاسُ عَلَى الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وفي رواية" إني لم أَتَّهِمْكَ وَلَكِنَّ الحديث عن رسول اللَّهِ (ﷺ) شَدِيدٌ"[٤]، وهذا مما يؤكد على ضبط الصحابة وتثبتهم في الرواية.

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/١.
(٢) تذكرة الحفاظ ٣/١.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ، بَاب التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِئْذَانِ ثَلَاثًا، ٢٣٠٥/٥ (٥٨٩١)، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ : اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ "، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : وَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ ذَلِكَ.
(٤)أخرجهما أبو داود في سننه، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب كَمْ مَرَّةً يُسَلِّمُ الرَّجُلُ فِي الِاسْتِئْذَانِ، ٣٤٦/٤ (٥١٨٣، ٥١٨٤). قال: (٥١٨٣) حدثنا زَيْدُ بن أَخْزَمَ ثنا عبد الْقَاهِرِ بن شُعَيْبٍ ثنا هِشَامٌ عن حُمَيْدِ بن هِلَالٍ عن أبي بُرْدَةَ بن أبي مُوسَى عن أبيه بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، قلت: إسناد حسن فيه: عبد القاهر بن شعيب بن الحبحاب، قال صالح جزرة لا بأس به، تهذيب التهذيب ٣٢٨/٦ (٧٠٥)، وقال الذهبي: وثق، الكاشف ٦٦٠/١ (٣٤٢٠) وقال ابن حجر: لا بأس به، تقريب التهذيب ٣٦٠/١ (٤١٤٢) وبقية رجاله ثقات.

المبحث الثالث

العامل الثالث من عوامل ملازمة الضبط والإتقان للصحابة في رواية الحديث: العلم الملقى ـ الحديث النبوي الشريف ـ.

ويرجع أثر هذا العامل في ملازمة الضبط والإتقان للصحابة لعدة أمور منها:

١- أهمية علم الحديث ومنزلته.

٢- كتابة الحديث .

٣- مذاكرة الحديث.

٤- أن علم الحديث علم مشاهد من الواقع المعاصر والبيئة المحيطة.

أولا: أهمية علم الحديث ومنزلته:

ومن أهم الأسباب التي ترجع إلى العلم الملقى- الحديث النبوي- والتي أدت إلى حفظه، أهمية هذا العلم؛ حيث إن القرآن والسنة هما مصدر التشريع، وبهما حفظ الدين وصيانته، وفي اتباعهما سعادة المرء في الدارين الدنيا والآخرة، وفي البعد عنهما الخسران والخذلان، قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾(١).

والسنة النبوية هي الأصل الثاني للتشريع وهي شارحة للقرآن الكريم ومفصلة لمجمله ومقيدة لمطلقه ومخصصة لعامه ومبينة لمبهمه، قال تعالى:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

وأمر سبحانه باتباع الرسول (ﷺ) فيما يأمر به وينْهَى عنه؛ فقال:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٣)؛ لأن الله -عز

(١) سورة طه آية (٢٩).

(٢) سورة النحل من الآية (٤٤).

(٣) سورة الحشر من الآية (٧).

وجل- فرق بنبيه بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وشهد له بأنه يدعو إليه بإذنه، وأنه يهدي إلى صراط مستقيم، فقال سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[١]، وقال تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢].

وجعل طاعته من طاعة الله فقال:﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٣]، فلا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ففرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار، فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار .قال تعالى:﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤]، كما حذر من معصيته فقال جل شأنه:﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥].

وقال رسول الله(ﷺ): " كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟، قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"[٦].وقال (ﷺ): "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله[٧]". وقال (ﷺ):" أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ

(١) سورة الأحزاب آية (٤٥-٤٦).
(٢) سورة الشورى من الآية (٥٢).
(٣) سورة سبأ من الآية (٨٠).
(٤) سورة الفتح من الآية (١٧).
(٥) سورة النور من الآية (٦٣).
(٦)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رسول اللَّهِ (ﷺ)، ٦/٢٦٥٥ (٦٨٥١).
(٧)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْأَحْكَامِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى) أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، ٦/٢٦١١ (٦٧١٨).

شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ[١]".

وجعل في اتباعه حياة لهم فقال جل شأنه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢].

قال الشوكاني –رحمه الله:"أي استجيبوا لما يحييكم إذا دعاكم، ولا مانع من أن تكون متعلقة بدعا، أي إذا دعاكم إلى ما فيه حياتكم من علوم الشريعة، فإن العلم حياة كما أن الجهل موت، فالحياة هنا مستعارة للعلم، قال الجمهور من المفسرين المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية"[٣].

فطاعته هي الصراط المستقيم وهي حبل الله المتين، وهي العروة الوثقى وأصحابها هم أولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون. قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٤].

ورغب النبي(ﷺ) في تبليغ سنته وأمر بذلك، فقال (ﷺ):" نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ [٥]".

وقال في حجة الوداع: " فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ [٦]".

---

(١)أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب السُّنَّةِ، بَاب في لُزُومِ السُّنَّةِ، ٤/٢٠٠ (٤٦٠٤)، قلت وإسناده صحيح.

(٢) سورة الأنفال من الآية (٢٤).

(٣) فتح القدير ٢/٢٩٩،ط: دار الفكر – بيروت.

(٤) سورة آل عمران آية (٣٢).

(٥)أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب الْعِلْمِ عن رسول اللَّهِ (ﷺ)، بَاب ما جاء في الْحَثِّ الْحَثِّ على تَبْلِيغِ السَّمَاعِ، ٥/٣٤ (٢٦٥٧)، وقَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٦)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْحَجِّ، بَاب الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، ٢/٦٢٠ =

وقال العلامة الشهاب أحمد الدمشقي الحنفي: إن علم الحديث علم رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر لا يعتني به إلا كل حبر، ولا يحرمه إلا كل غمر، ولا تفنى محاسنه على ممر الدهر؛ لم يزل في القديم والحديث يسمو عزة وجلالة، وكم عز به من كشف الله له عن مخبآت أسراره وجلاله؛ إذ به يعرف المراد من كلام رب العالمين ويظهر المقصود من حبله المتصل المتين، ومنه يُدرى شمائل من سما ذاتًا ووصفًا واسمًا ويوقف على أسرار بلاغة من شرف الخلائق عربًا وعجمًا، وتمتد من بركاته للمعتنى به موائد الإكرام من رب البرية، فيدرك في الزمن القليل من المولى الجليل المقامات العلية، ...؛ وناهيك بعلم من المصطفى (ﷺ) بدايته، وإليه مستنده وغايته. وحسب الراوي للحديث شرفًا وفضلًا وجلالة ونبلًا أن يكون أول سلسلة آخرها الرسول وإلى حضرته الشريفة بها الانتهاء والوصول.

وطالما كان السلف الصالح يقاسون في تحمله شدائد الأسفار، ليأخذوه عن أهله بالمشافهة ولا يقنعون بالنقل من الأسفار فربما ارتكبوا غارب الاغتراب بالارتحال إلى البلدان الشاسعة لأخذ حديث عن إمام انحصرت رواتيه فيه أو لبيان وضع حديث تتبعوا سنده حتى انتهى إلى من يختلق الكذب ويفتريه، وتأسى بهم من بعدهم من نقلة الأحاديث النبوية، وحفظة السنة المصطفوية، فضبطوا الأسانيد وقيدوا منها كل شريد، وسبروا الرواة بين تجريح وتعديل، وسلكوا في تحرير المتن أقوم سبيل، ولا غرض لهم إلا الوقوف على الصحيح من أقوال المصطفى وأفعاله، ونفي الشبهة

=

(١٦٥٤).

بتحقيق السند واتصاله فهذه هي المنقبة التي تتسابق إليها الهمم العوالي والمأثرة التي يصرف في تحصيلها الأيام والليالي [١].

فالسنة مع القرآن، هي نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الحصين، وسراجه المنير؛ لذا كان للسنة في نفوس الصحابة الكرام منزلة عالية رفيعة، دفعتهم إلى حفظها والعناية بها؛ إذ بها السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

ثانيا: كتابة الحديث:

حرص الرسول (ﷺ)على تبليغ سنته امتثالا لقول الله –عز وجل–: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[٢]، كما حرص الصحابة على حفظ الحديث وتبليغه؛ لمكانة السنة لديهم –على ما سبق بيانه–، فحرصوا على حضور مجالس الرسول (ﷺ)، وإذا تعذر على بعضهم الحضور يتناوب مع غيره كما كان يفعل عمر رضي الله عنه، فعنه أنه قال: " كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ "[٣] .

وأمرهم النبي (ﷺ) بكتابة العلم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): قَيِّدُوا الْعِلْمَ "، قُلْتُ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟، قَالَ: " كِتَابَتُهُ "[٤].

---

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ص٤٥، بتصرف يسير.

(٢) سورة المائدة من الآية (٦٧).

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب التَّنَاوُبِ في الْعِلْمِ، ٤٦/١ (٨٩).

(٤)أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم ، ١٨٨/١ (٣٦٢). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه عَبْد اللَّهِ بْن الْمُؤَمِّلِ وهو ضعيف، قال النسائي: ضعيف. وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ليس بقوي. وقال ابن عدي: أحاديثه عليها الضعف بين، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ، وذكره في الضعفاء وقال: لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد. =

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أيضا، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ، حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: " اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ "(١).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ كُلَّ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا حَقًّا»(٢).

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "ما من أَصْحَابِ النبي (ﷺ) أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عنه مِنِّي إلا ما كان من عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو فإنه كان يَكْتُبُ ولا أَكْتُبُ"(٣).

وروى البخاري ومسلم في " صحيحيهما ": «أنَّ أبا شاه اليَمَنِي التمس من النَّبِي (ﷺ) أنْ يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام الفتح فقال: «اكْتُبُوا لأبِي شَاهٍ»(٤).

=

وقال الدارقطني: ضعيف.وقال ابن حجر: ضعيف الحديث. ينظر ترجمته: المجروحين ٢٧/٢، الكامل في ضعفاء الرجال ١٣٥/٤، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١٣٧/٢، تهذيب التهذيب ٤٢/٦، تقريب التهذيب ٣٢٥/١.

(١)أخرجه أحمد في مسنده، ١٦٢/٢ (٦٥١٠)، قلت: وإسناده صحيح. وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم ،١٨٧/١ (٣٥٩). وقال: رُوَاةُ هَذَا الْحَدِيثِ قَدِ احْتَجَّا بِهِمْ، عَنْ آخِرِهِمْ غَيْرِ الْوَلِيدِ هَذَا، وَأَظُنُّهُ الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ الشَّامِيُّ، فَإِنَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ عُلِمَتْ عَلَى أَبِيهِ الْكَتَبَةُ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدِ احْتَجَّ مُسْلِمٌ بِهِ، وَقَدْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ : قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ.

(٢)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥٨/٣١.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب كِتَابَةِ الْعِلْمِ، ٥٤/١ (١١٣).

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب في اللُّقَطَةِ، بَاب كَيْفَ تُعَرَّفُ لُقَطَةُ أَهْلِ =

كما حث الصحابة بعضهم بعضا على كتابة العلم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ"(١)، وعن ابن عُمَرَ انه قال:" قَيِّدُوا هذا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ"(٢).

وروى الإمام ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) في باب الرخصة في كتابة العلم، ٣٣٠/١، جملة من تلك الأحاديث ومنها، عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ قال: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكْتُبَ الْحَدِيثَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ، حَدِيثٌ أَكْتُبُهُ أُرِيدُ أَنْ أَتَّخِذَهُ دِينًا، وَحَدِيثُ رَجُلٍ أَكْتُبُهُ فَأُوقِفُهُ لَا أَطْرَحُهُ وَلَا أَدِينُ بِهِ، وَحَدِيثُ رَجُلٍ ضَعِيفٍ أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَهُ وَلَا أَعْبَأَ بِهِ» وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «تَعَلَّمْ مَا لَا يُؤْخَذُ بِهِ كَمَا تَتَعَلَّمُ مَا يُؤْخَذُ بِهِ»(٣).

وَقَدْ رُوِيَ كِتَابَةُ الْعِلْمِ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَرُوِيَ إِجَازَةُ ذَلِكَ وَفِعْلُهُ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

=

مَكَّةَ،٨٥٧/٢ (٢٣٠٢)، ومسلم، كِتَاب الْحَجِّ، بَاب تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا، ٩٨٨/٢ (١٣٥٥).

(١)أخرجه الدرمي في سننه، بَاب من رَخَّصَ في كِتَابَةِ الْعِلْمِ،١٣٨/١ (٤٩٧). قلت: فيه عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن جارية، قال ابن إسحاق: وكان واعية جالس العلماء، التاريخ الكبير ٤٢١/٥، وذكره ابن حبان في الثقات ١١٦/٥، وبقية رجاله ثقات.

(٢)أخرجه الدرمي في سننه، بَاب من رَخَّصَ في كِتَابَةِ الْعِلْمِ،١٣٨/١ (٤٩٨). قلت: فيه عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن جارية، قال ابن إسحاق: وكان واعية جالس العلماء، التاريخ الكبير ٤٢١/٥، وذكره ابن حبان في الثقات ١١٦/٥، وبقية رجاله ثقات.

(٣)جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٣٣٠/١، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

وَالْحسن وَعَطَاء وَقَتَادَة وَعمر ابْن عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وغيرهم، وَوَقَعَ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا الِاتِّفَاقِ وَالْإِجْمَاعِ مِنْ جَمِيعِ مَشَايِخِ الْعِلْمِ وَأَئِمَّتِهِ وَنَاقِلِيهِ(١).

وقد أخرج الخطيب جملة من تلك الأحاديث في كتابه " تقييد العلم"، بَابُ ذِكْرِ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ: " قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ"(٢).

وبهذا صارت السنة النبوية تحفظ عن الرسول (ﷺ) في الصدور وفي السطور معا، فكتب الصحابة الحديث عن رسول الله، بجانب الحفظ في الصدور.

بقول الدكتور أحمد معبد (حفظه الله):"لكن هذه الطريقة الثانية(٣) لم تأخذ حظًا كافيًا من إظهار دلائلها وصور العناية بها، وتعداد من قام بها من الصحابة والتابعين في مباحث خاصة بذلك؛ ولعل ذلك لأنها لم تكن محل شك أو إنكار في عصور تدوين السنة في مصنفات خلال القرن الثاني والثالث"(٤).

فكتابة الحديث(٥) من أهم الأسباب التي ساعدت الصحابة على الحفظ والضبط والإتقان للمرويات.

---

(١)ينظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض ص١٤٧،المحقق: السيد أحمد صقر،ط: دار التراث / المكتبة العتيقة – القاهرة / تونس، الطبعة: الأولى، ١٣٧٩هـ – ١٩٧٠م.

(٢)ينظر: تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٦٨ وما بعدها. ط: إحياء السنة النبوية – بيروت.

(٣) يعني كتابة السنة على عهد رسول الله (ﷺ).

(٤) كتابة الحديث في عهد النبي (ﷺ) وصحابته وأثرها في حفظ السنة النبوية ص٤.

(٥)أما أحاديث النهي عن الكتابة فالظاهر أنَّ نهي النَّبِي (ﷺ)عن كتابة الأحاديث كان خشية أنْ يلتبس على البعض بالقرآن الكريم، أو أنْ يكون شاغلاً لهم عنه ولا سيما أنَّ القوم كانوا أُمِيِّينَ، أو أنَّ النهي كان بالنسبة لمن يوثق بحفظه، أما مَنْ أمن عليه اللبس بأنْ كان قارئاً كاتباً، أو خيف عليه النسيان وعدم الضبط لما سمع فلا حرج =

ثالثا: مذاكرة الحديث:

كان الصحابة الكرام يعتنون بمذاكرة الحديث عناية فائقة؛ لما لها من أهمية بالغة في العناية بحفظ الحديث وضبطه، فعن عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : تَزَاوَرُوا وَتَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ ؛ فَإِنَّكُمْ إلا تَفْعَلُوا يَدْرُسْ[١]"[٢].وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا قُمْنَا تَذَاكَرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ"[٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ الْحَدِيثَ "[٤].

=

عليه في الكتابة، وعلى هذا يحمل ما ورد من الروايات الثابتة الدالة على الإذن في الكتابة لبعض الصحابة.

-ومن العلماء من يرى أن أحاديث الإذن ناسخة لأحاديث النهي، إذ النهي كان في مبدأ الأمر حين خيف اشتغالهم عن القرآن بالأحاديث أو خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن، ثم لما أَمِنَ ذلك نسخ النهي ولعلَّ مِمَّا يُؤَيِّدُ القول بالنسخ أنَّ بعض أحاديث الإذن متأخِّرة التاريخ، فأبو هريرة راوي حديث الكتابة أسلم عام سبع، وقصة أبي شاه كانت في السَنَةِ الثامنة عام الفتح.ينظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ص٢٠،المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)،الناشر: مكتبة السنة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٩ م.

(١) يَدْرُسْ: يمح، من درس الشيء يدرس دروسا عفا، ودرسته الريح تدرسه درسا أي محته. ينظر: لسان العرب مادة (درس) ٧٩/٦.

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، تذاكر الحديث، ٢٨٥/٥ (٢٦١٣٤)، قلت: وإسناده صحيح.

(٣)أخرجه الخطيب في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع وفي سنده ضِرَارُ بْنُ صُرَدٍ، متروك الحديث. وهو ضِرَارُ بْنُ صُرَدٍ أبو نعيم الطحان، قال أبو عبد الله البخاري وغيره متروك.ميزان الاعتدال ٤٤٩/٣.

(٤)أخرجه الدارمي في سننه، بَاب مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ، ١٥٥/١ (٥٩٥)، قلت: إسناده صحيح.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "تَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ الْقُرْآنِ مَجْمُوعٌ مَحْفُوظٌ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ حَدَّثْتُ أَمْسِ فَلَا أُحَدِّثُ الْيَوْمَ، بَلْ حَدِّثْ أَمْسِ، وَلْتُحَدِّثْ الْيَوْمَ، وَلْتُحَدِّثْ غَدًا"(١).

وقد بسط الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الحديث عن المذاكرة، وأخرج جملة من الأحاديث الدالة على ذلك في عناوين من كتابه منها: الْكِتَابَةُ عَنِ الْمُحَدِّثِ فِي الْمُذَاكَرَةِ ٣٦/٢، بَابُ الرِّحْلَةِ فِي الْحَدِيثِ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ لِلِقَاءِ الْحُفَّاظِ بِهَا وَتَحْصِيلِ الْأَسَانِيدِ الْعَالِيَةِ الْمَقْصُودُ فِي الرِّحْلَةِ فِي الْحَدِيثِ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا تَحْصِيلُ عُلُوِّ الْإِسْنَادِ وَقِدَمِ السَّمَاعِ، وَالثَّانِي لِقَاءُ الْحُفَّاظِ وَالْمُذَاكَرَةُ لَهُمْ وَالِاسْتِفَادَةُ عَنْهُمْ ٢٢٣/٢. مُذَاكَرَةُ الْحَدِيثِ مَعَ عَامَّةِ النَّاسِ ٢٦٧/٢، الْمُذَاكَرَةُ مَعَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ ٢٦٩/٢، الْمُذَاكَرَةُ مَعَ الْأَقْرَانِ وَالْأَتْرَابِ ٢٧٣/٢، الْمُذَاكَرَةُ مَعَ الشُّيُوخِ وَذَوِي الْأَسْنَانِ ٢٧٦/٢، دَوَامُ الْمُرَاعَاةِ لِلْحَدِيثِ وَالْمُذَاكَرَةِ بِهِ وَاتِّقَاءِ الْفُتُورِ عَنْهُ ٢٧٨/٢.

وكما أن المذاكرة طريق من طرق الحفظ والضبط وتثبيت العلم ورسوخه وعدم تفلته من القلوب والعقول، فهي أيضا طريق من طرق معرفة علل الحديث.

---

(١)أخرجه الدارمي في سننه، بَاب مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ، ١٥٥/١ (٦٠٠)، قلت: إسناده حسن؛ فيه: يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُمِّيُّ صدوق، قال الذهبي: " صدوق ". وقال مرة: " صالح الحديث ". وقال ابن حجر: " صدوق، يهم. ينظر:الثقات (٦٤٥/٧)، الكاشف (٣٩٤/٢)، المغني في الضعفاء (٧٥٨/٢)، تقريب التهذيب (٦٠٨/١) .

والقُمِّي :- بضم القاف وتشديد الميم المكسورة- ، نسبة إلى بلدة قُم، وهي بلدة بين اصبهان وساوة ، أكثر أهله الشيعة ، وبنيت هذه المدينة زمن الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وثمانين . اهـ . الأنساب (٥٤٢/٤) .

قال أبو عبد الله الحاكم: " إِنَّ الصَّحِيحَ لَا يُعْرَفُ بِرِوَايَتِهِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِالْفَهْمِ وَالْحِفْظِ وَكَثْرَةِ السَّمَاعِ، وَلَيْسَ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْعِلْمِ عَوْنٌ أَكْثَرَ مِنْ مُذَاكَرَةِ أَهْلِ الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ لِيَظْهَرَ مَا يَخْفَى مِنْ عِلَّةِ الْحَدِيثِ"(١).

وقال ابن رجب الحنبلي: "ولا بد في هذا العلم من طول الممارسة، وكثرة المذاكرة، فإذا عدم المذاكر به، فليكثر طالبه المطالعة في كلام الأئمة العارفين كيحيى القطان، ومن تلقى عنه كأحمد وابن المديني، فمن رزق مطالعة ذلك وفهمه وفقهت نفسه فيه وصارت له فيه قوة نفس وملكة، صلح له أن يتكلم فيه"(٢).

فمذاكرة الحديث من أهم العوامل التي ساعدت على حفظ الحديث وضبطه؛ لذا لما انشغل عنها بعض الرواة خف ضبطه، كشَريك بن عبد الله القاضي ، قال ابْن حَجَر في التقريب: صدوق يخطىء كثيراً تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة(٣)، وكذا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال أَبُو حَاتِم : محله الصدق كان سيء الحفظ شغل بالقضاء فساء حفظه(٤). فانشغالهم بالقضاء كان سبب في تغير الحفظ لديهم، لذا قال الزُّهْرِيِّ: "آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ وَتَرْكُ الْمُذَاكَرَةِ"(٥).

لذا كان لاهتمام الصحابة بمذاكرة الحديث أثره البالغ في حفظهم وضبطهم وإتقانه.

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص٥٩.ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، الطبعة: الثانية، تحقيق: السيد معظم حسين.

(٢) شرح علل الترمذي لابن رجب ص١٢٦،المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، ط: مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) تقريب التهذيب (ص : ٢٦٦) .

(٤)الجرح والتعديل (٣٢٢/٧).

(٥)أخرجه الدارمي في سننه، بَاب مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ، ١٥٨/١ (٦٢١)، قلت:إسناده صحيح.

رابعا: أن علم الحديث علم مشاهد من الواقع المعاصر والبيئة المحيطة .

إن من أهم الأسباب التي ساعدت الصحابة الكرام على حفظ السنة؛ تلقيهم إياها مرتبطة بالأحداث والوقائع المشاهدة لديهم؛ مما جعلها تعلق في أذهانهم، وترتبط بهم ارتباطا وثيقا، يثير الاهتمام، ويلفت الأنظار، ويوقظ الأذهان، فتمكنت في نفوسهم فضل تمكن،وكانت سببا في استقرار المعاني والألفاظ في أذهانهم بصورة يصعب معها ضياع شيء مما تحملوه أو نسيانه.

قال الزرقاني–رحمه الله–: "ارتباط كثير من كلام الله ورسوله بوقائع وحوادث وأسئلة من شأنها أن تثير الاهتمام. وتنبه الأذهان وتلفت الأنظار إلى قضاء الله ورسوله فيها وحديثهما عنها وإجابتهما عليها وبذلك يتمكن الوحي الإلهي والكلام النبوي في النفوس فضل تمكن وينتقش في الأذهان على مر الزمان"(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة منها: قصة ماعز والغامدية(٢)، وقصة المرأة المخزومية التي سرقت(١). ومنها إخباره (ﷺ) يوم خيبر بقوله: "لأعطين

(١)مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٣٠٠.

(٢)أخرجها مسلم في صحيحه، كِتَاب الْحُدُودِ، بَاب من اعْتَرَفَ على نَفْسِهِ بِالزِّنَى، ١٣٢٣/٣ (١٦٩٥)، من حديث عبد اللَّهِ بن بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ، أَتَى رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: «أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟» فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، قَالَ، فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ: «إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى =

الرايـة غـدا لرجـل يحـب الله ورسـوله ويحبـه الله ورسـوله"[٢]. ومنهـا حـديث جبريـل عليـه السـلام فـي بَيَـانِ الْإِيمَـانِ وَالْإِسْـلَامِ وَالْإِحْسَـانِ[١]. ومنهـا إخباره (ﷺ) برَجُلٍ من أَهْلِ الْجَنَّةِ[٢] وغيرها الكثير.

=

تَلِدِي»، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ»، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ (ﷺ)سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ.

(١)أخرجها البخاري في صحيحه،كِتَاب الْحُدُودِ، بَاب كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحَدِّ إذا رُفِعَ إلى السُّلْطَانِ، ٢٤٩١/٦ (٦٤٠٦)، ومسلم ١٣١٥/٣ (١٦٨٨)، كِتَاب الْحُدُودِ، بَاب قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ وَالنَّهْيِ عن الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ،. من حديث عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، -واللفظ للبخاري-: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا».

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب فَضْلِ من أَسْلَمَ على يَدَيْهِ رَجُلٌ، ١٠٩٦/٣ (٢٨٤٧)، من حديث سَهْلٌ بن سَعْدٍ رضي الله عنه قال قال النبي (ﷺ) يوم خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ على يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ فَبَاتَ الناس لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يعطي فَغَدَوْا كلهم يرجونه فقال أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ وَدَعَا له فَبَرَأَ كَأَنْ لم يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ فقال أُقَاتِلُهُمْ حتى يَكُونُوا مِثْلَنَا فقال انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهم فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لك من أَنْ يَكُونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ.

ومما هو معلوم أن الخبر إذا اقترن بحادثة أو واقعة – زمانية أو مكانية–، كان ذلك سببا في استحضار دقائقه وتفصيلاته، وكان أدعى لحفظه، وأبعد عن الوهم أو الغفلة فيه، وقد امتاز الصحابة الكرام رضوان الله عليهم عن غيرهم ممن جاء بعدهم، بتحمل الحديث عن رسول الله (ﷺ)

=

(١)أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، ٣٧/١ (٨)، من حديث عُمَر بْن الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب وُجُوبِ الزَّكَاةِ، ٥٠٦/٢ (١٣٣٣)، من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا أتى النبي (ﷺ) فقال دُلَّنِي على عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قال: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شيئا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قال: وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا أَزِيدُ على هذا، فلما وَلَّى قال النبي (ﷺ) من سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ من أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلى هذا.

مقترنا بأسبابه وملابساتها، فحضروا الوقائع والحوادث وعاشوا التطبيق العملي للسنة مع رسول الله (ﷺ)، وشاهدوا ذلك بأعينهم مما ساعدهم على حفظ الرواية وضبطها وإتقانها بدقائقها وتفصيلاتها .

الخاتمة

الحمد لله المتفضل بالإنعام والإحسان وحسن الختام، والصلاة والسلام على خير الأنام خاتم الأنبياء عليهم الصلاة وأزكى السلام.

وبعد

فلقد خلصت من هذا البحث إلى بعض النتائج من أهمها:

١- القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدر التشريع، وبهما حفظ الدين وصيانته، وفي اتباعهما سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وفي البعد عنهما الخسران والخذلان.

٢- قبول رواية الصحابة والوثوق بمروياتهم يرجع إلى ثلاثة عوامل رئيسة أسهمت إسهاما كبير في ملازمة الضبط والإتقان لهم في رواية الحديث، وتتمثل هذه العوامل فيما يأتي:

أولاً: المعلم: أفضل الخلق وخاتم النبيين والمرسلين محمد (ﷺ).

ثانياً: المتعلم: الصحابة الكرام رضوان الله عليم أجمعين-خير أمة أخرجت للناس-.

ثالثا: العلم المُلقى: السنة النبوية المشرفة، وفيها صلاح الدين والدنيا.

٣- رسول الله(ﷺ)هو المعلم الأول لهذه الأمة، الذي علَّم وربَّى صحابته فكانوا خير طلاب لخير معلم، ومن تتبع سيرته وسنته(ﷺ) عرف أن طلاب المدرسة النبوية هم أفضل جيل عرفته البشرية، كيف لا ومعلمهم ومربيهم هو خير معلم، وهو خاتم النبيين والمرسلين،ولقد أدى رسول الله(ﷺ) تلك الرسالة خير أداء بأفضل أساليب، وأحسن وسائل؛ فتنوع الأساليب والوسائل النبوية في تعليم الصحابة، كان له بالغ الأثر في حفظ الصحابة وضبطهم؛ حيث جعلت السنة النبوية لديهم سهلة المنال، قريبة إلى الأذهان، ميسورة في الحفظ والإتقان.

٤- الصحابة الكرام هم من حملوا راية هذا الدين وبلَّغوه عن رسول الله (ﷺ)، وقد اختارهم الله -عز وجل- لصحبة نبيه (ﷺ) ليكونوا عونا

وسندا ونصرة لدينه، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس، وقد عرف عنهم قوة إيمانهم، وتقواهم، وورعهم، وصدق يقينهم، وشدة حبهم لله ولرسوله، وحرصهم على دين الله تعالى، حتى تملك هذا الحب مشاعرهم، ودفعه إلى التسابق والتسارع إلى كتاب الله يأخذونه ويحفظونه ويتعلمونه، ويعملون به، وإلى سنته يحيطون بأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته، فيقتدون به ويهتدون بهديه، ممتثلين في ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1]"، فنالت سنته (ﷺ)عندهم مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، في الحفظ والإتقان والعناية والضبط.

٥- أهمية علم الحديث ومنزلته لدى الصحابة كان له بالغ الأثر في نفوسهم، فنال اهتمامهم وعنايتهم؛ حفظا، وكتابة، ومذاكرة؛ فتميز الصحابة الكرام بحرصهم الشديد على حديث رسول الله (ﷺ)؛ لما أدركوه من أن العزة والسعادة والفلاح في الاهتداء بهديه، والسير على دربه، فأقبلوا عليه بعزيمة صادقة، وأفئدة واعية، وتحروا فيه الدقة والأمانة والتثبت في النقل والرواية، مما كان له بالغ الأثر في حفظهم وضبطهم.

٦- امتاز الصحابة الكرام رضوان الله عليهم عن غيرهم ممن جاء بعدهم، بتحمل الحديث عن رسول الله (ﷺ) مقترنا بأسبابه وملابساتها، فحضروا الوقائع والحوادث، وعاشوا التطبيق العمل للسنة مع رسول الله (ﷺ)، وشاهدوا ذلك بأعينهم مما جعلها تعلق في أذهانهم، وترتبط بهم ارتباطا وثيقا، يثير الاهتمام، ويوقظ الأذهان، فتمكنت في نفوسهم فضل تمكن، كل ذلك ساعدهم على حفظ الرواية وضبطها وإتقانها بدقائقها وتفصيلاتها .

(١) سورة آل عمران من الآية (٣١).

ثَبَت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:** لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبـى بكر بن عبد الملك القسطلاني، (المتوفى: ٩٢٣هـ)،ط: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.
- **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع:** لأبي الفضل عياض بن موسى، (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار التراث / المكتبة العتيقة – القاهرة / تونس، الطبعة: الأولى، ١٣٧٩هـ – ١٩٧٠م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ط: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- **تاريخ آداب العرب:** لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي.
- **تاريخ بغداد:** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت –.
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:** لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.
- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.
- **تقريب التهذيب:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ط: دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦ – ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.

- **تقييد العلم:** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) الناشر: إحياء السنة النبوية – بيروت.
- **تهذيب التهذيب:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ط: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة: الأولى.
- **جامع بيان العلم وفضله:** لابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع:** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ).المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.
- **حلية الأولياء:**لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ت(٤٣٠هـ)،ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ.
- **دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين،** المؤلف: محمد أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبة السنة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٩ م.
- **سنن أبي داود:** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ت(٢٧٥هـ)، ط/دار الفكر، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- **سنن الترمذي:** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي. ت(٢٧٩هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين.

- **سنن الدار قطني:** لعلي بن عمر أبي الحسن الدار قطني البغدادي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت – ١٣٨٦ – ١٩٦٦،تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.
- **السنن الكبرى:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ت (٤٥٨هـ)، ط/ مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا.
- **شرح الطِّيبيُّ على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن):**لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطِّيبيُّ (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض).
- **شرح النووي** على صحيح مسلم: للإمام أبي زكريا يحيى بن شرفالنووي. ت (٦٧٦هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية ١٣٩٢هـ.
- **شرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض** المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: لعياض بن موسى (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- **شرح علل الترمذي:** لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- **صحيح البخاري:** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦هـ). ط/ دار ابن كثير – اليمامة – بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا.

- **صحيح مسلم:** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، ط:دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- **فتح القدير:** لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
- **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث:** لمحمد جمال الدين القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان.
- **كتابة الحديث** في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وأثرها في حفظ السنة النبوية، المؤلف: أحمد بن معبد بن عبد الكريم بن سليمان بن حسن كُلَيْبَاتِي، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة.
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- **الكفاية في علم الرواية:** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية – المدينة المنورة.

- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**: لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- **لسان العرب**: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت(٧١١هـ)، ط/ دار صادر، بيروت، الأولى.
- **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، - ١٤١٥ - ١٩٩٥، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥هـ)، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا.
- **مسند أحمد**: لأبي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت (٢٤١هـ)، ط/مؤسسة قرطبة - مصر.
- **المصباح المنير** في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ،(المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- **مصنف ابن أبي شيبة**: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ط: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- **معجم مقاييس اللغة**: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **معرفة علوم الحديث**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الطبعة: الثانية، تحقيق: السيد معظم حسين.

- **مناهل العرفان في علوم القرآن:** لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
- **موضح أوهام الجمع والتفريق:** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المعرفة – بيروت' الطبعة: الأولى، ١٤٠٧.

- **References**

- alquranalkarim.
- 'iirshadalsaarilisharhsahihalbukhari: lishihabaldiyn 'ahmad bin muhamad bin 'abaabikr bin eabdalmalikalqistalanii, (almutawafaa: 923hi), ta: almatbaeatalkubraaal'amiriati, masr, altabeati: alsaabieati, 1323 h.
- al'iilmae 'iilaamaerifat 'usulalriwayatwataqyidalsamae : li'abialfadleayad bin musaa, (almutawafaa: 544hi), almuhaqiqi: alsayid 'ahmadsaqra, alnaashir: daralturath / almaktabataleatiqat - alqahirat / tunis, altabeatu: al'uwlaa, 1379h - 1970m.
- tajalearus min jawahiralqamusa: limuhamadmurtadaaalhusaynialzubaydi, ta: daralhidayati, tahqiqu: majmueat min almuhaqiqina.
- tarikhadabalearabi: limustafaasadiq bin eabdalrazaaq bin saeid bin 'ahmad bin eabdalqadiralraafieii (almutawafaa: 1356ha), alnaashir: daralkitaabalearabii.
- tarikhbaghdada: li'abibakr 'ahmad bin ealii bin thabiti, alkhatibalbaghdadii, daralnashra: daralkutubaleilmiat - bayrut -.
- tuhifatal'ahwadhibisharhjamiealtirmidhii: li'abialeulamuhamadeabdalrahman bin eabdalrahimalmubarikifurii , ta: daralkutubaleilmiat - bayrut.
- altashillieulumaltanzili: limuhamad bin 'ahmad bin muhamadalgharnatiialkalbi, daralnashra: daralkitabalearabii - lubnan - 1403hi- 1983m, altabeatu: alraabieati.
- taqribaltahdhibi: li'abialfadl 'ahmad bin ealii bin hajaraleasqalaniialshaafieii, ta: daralrashid - suria - 1406 - 1986, altabeatu: al'uwlaa, tahqiqu: muhamadeawaama.
- taqyidaleilmi: li'abibakr 'ahmad bin ealii bin thabitalkhatibalbaghdadii (almutawafaa: 463hi) alnaashir: 'iihya' alsanatalnabawiat - bayrut.
- tahdhibaltahdhibi: li'abialfadl 'ahmad bin ealii bin hajaraleasqalaniialshaafieii, ta: daralfikr - bayrut - 1404 - 1984, altabeatu: al'uwlaa.

- jamiebayanaleilmwafadluhu: labieumaryusif bin eabdallh bin muhamad bin eabdalbiri bin easimalnamriialqurtibii (almutawafaa: 463hi), tahqiqu: 'abial'ashbalalzahiri, alnaashir: darabnaljuzi, almamlakatalearabiatalsueudiiti,altabeati: al'uwlaa, 1414 hi - 1994 mi.
- aljamieli'akhlaqalraawywadabalsaamiei: li'abibakr 'ahmad bin ealii bin thabitalkhatibalbaghdadii (almutawafaa: 463hi).almuhaqaqi: du. mahmudaltahaan, alnaashir: maktabatalmaearif - alriyad.
- haliyatal'awlia'i: li'abinueym 'ahmad bin eabdallahal'asbhani. ti(430hi), ta/ daralkitaabalearabii - bayrut, alraabieat 1405hi.
- difaeeanalsunatwaradshibhalmustashriqinwalkutaabalmue asirina, almualafa: muhamad 'abushuhb (almutawafaa: 1403ha), alnaashir: maktabatalsanati, altabeata: al'uwlaa, 1989 ma.
- sunan 'abidawud: li'abidawudsulayman bin al'asheathalsajistani. t(275hi), ta/daralfikr, tahqiqu/ muhamadmuhyialdiyneabdalhamid.
- snanaltirmidhi: li'abieisaamuhamad bin eisaa bin sawrtaltirmadhi. t(279hi), ta/ dar 'iihya' alturathalearabii - bayrut, tahqiqu/ 'ahmadmuhamadshakirwakhrin.
- snanaldaariqatani: liealiin bin eumar 'abialhasanaldaariqutniualbaghdadii, daralnashra: daralmaerifat - bayrut - 1386 - 1966, tahqiqu: alsayideabdallahhashimyamanialmadani.
- alsunanalkubraa: li'abibakr 'ahmad bin alhusaynalbayhaqi. t (458hi), ta/ maktabatdaralbazi, makatalmukaramat 1414h - 1994m, tahqiqu/ muhamadeabdalqadireata.
- sharahalttibyealaamishkaatalmasabihalmusamaa bi (alkashifeanhaqayiqalsinun): lisharafaldiynalhusayn bin eabdallahalttiby (743h), tahqiqu: da. eabdalhamidhandawi, ta: maktabatnizarmustafaaalbaz (makatalmukaramat - alriyadu).

- sharahalnawawiuealaasahihmuslimin: lil'iimam 'abizakariaayahyaa bin sharafalnawawii. t (676hi), ta/ dar 'iihya' alturathalearabii - bayrut, althaaniat 1392h.
- shrhsahihmuslimlilqadiaeiadalmusamma 'iikmalalmuelimbfawayidmuslim: lieiad bin musaa (almutawafaa: 544hi), almuhaqiqi: aldukturyhyaa 'iismaeil, alnaashir: daralwafa' liltibaeatwalnashrwaltawzie, masir, altabeati: al'uwlaa, 1419 hi - 1998 mi.
- sharhealalaltirmidhi: lizaynaldiyneabdalrahman bin 'ahmad bin rajab bin alhasan, alsalamy, albaghdadi, thumaaldimashqi, alhanbali (almutawafaa: 795h), almuhaqiqi: aldukturhumameabdalrahimsaeid, alnaashir: maktabatalmanar - alzarqa' - al'urdunu, altabeati: al'uwlaa, 1407h - 1987m.
- shih albukhari: li'abieabdallahmuhamad bin 'iismaeilalbukharii t (256hi). ta/ darabnkathir - alyamamat - bayrut 1407h - 1987m,tahqiq du/ mustafaa dib albgha.
- shih muslimin: li'abialhusaynmuslim bin alhajaajalqushayriialniysaburi, ta: dar 'iihya' alturathalearabii - bayrut, tahqiqu: muhamadfuadeabdalbaqi.
- eumdatalqariysharhsahihalbukhari: libadraldiynmahmud bin 'ahmadaleayni, ta: dar 'iihya' alturathalearabii - bayrut.
- fatahalbarisharhsahihalbukhari: li'ahmad bin eali bin hajar 'abialfadlaleasqalanialshaafieia, ta:daralmaerifat - bayrut, tahqiqu: muhibialdiynalkhatibi.
- fathalqidir: limuhamad bin ealii bin muhamad bin eabdallahalshuwkanii (almutawafaa: 1250hi), ta: darabnkathirin, daralkalmaltayib - dimashqa, bayrutu,alitabeata: al'uwlaa - 1414 hi.
- qawaeidaltahdith min fununmustalahalhaditha: limuhamadjamalaldiynalqasimii (almutawafaa: 1332ha), alnaashir: daralkutubaleilmiat -biruti-lubnan.
- kitabatalhadith fi eahdalnabiisalaaallahealayhwasalamwasahabatuhwa'atharuha fi hifzalsunatalnabawiati, almualifi: 'ahmad bin

maebad bin eabdalkarim bin sulayman bin hasankulaybatia, majmaealmalikfahdlitibaeatalmushafbialmadinatalmunawarati.

- alkashafeanhaqayiqaltanzilwaeuyunal'aqawil fi wujuhaltaawili: li'abialqasimmahmud bin eumaralzamakhasharialkhawarzami, daralnashri: dar 'iihya' alturathalearabii - bayrut, tahqiqu: eabdalrazaaqalmahdi.
- alkifayat fi eilmalriwayati: li'abibakr 'ahmad bin ealii bin thabit bin 'ahmad bin mahdialkhatibalbaghdadii (almutawafaa: 463hi), almuhaqiqi: 'abueabdallahalsuwrqi , 'iibrahimhamdialmadani, alnaashir: almaktabataleilmiat - almadinatalmunawarati.
- alkawakibaldirariu fi sharhsahihalbukhari: limuhamad bin yusif bin ealii bin saeida, shams aldiynalkarmanii (almutawafaa: 786hi), ta: dar 'iihya' alturathalearabi, bayrut-lubnantabeat 'uwlaa: 1356h - 1937m.
- lisanalearabi: li'abialfadlmuhamad bin makram bin manzural'iifriqiialmisriu ta(711hi), ta/ darsadir, bayrut, al'uwlaa.
- mukhtaralsahahi: limuhamad bin 'abibakr bin eabdalqadiralraazi, - 1415 - 1995, almuhaqiqi: yusifalshaykhmuhamad, ta: almaktabataleasriat - aldaaralnamudhajiatu, bayrut - sayda, altabeata: alkhamisati, 1420h / 1999m.
- alimustadrakealaaalsahihayni: li'abieabdallahmuhamad bin eabdallahalhakimalnaysaburi t (405hi), ta/ daralkutubaleilmiat - bayrut, al'uwlaa 1411h - 1990m, tahqiqu/ mustafaaeabdalqadireata.
- msanad 'ahmadu: li'abieabdallhaihmad bin muhamad bin hanbalalshaybani t (241ha), ta/muasasatqurtubat - masr.
- almisbahalmunir fi gharaybalsharhalkabiri: li'ahmad bin muhamad bin ealiinalfayuwmii , (almutawafaa: nahw 770h), alnaashir: almaktabataleilmiat - bayrut.

- musanafabn 'abishaybata: li'abibakreabdallh bin muhamad bin 'abishibatalkufi, ta: maktabatalrushd - alriyad - 1409, altabeatu: al'uwlaa, tahqiqu: kamalyusufalhut.
- muejammaqayisallughati: li'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwiniialraazi, (almutawafaa: 395hi), almuhaqiqa: eabdalsalammuhamadharun, alnaashir: daralfikri, eamalnashri: 1399h - 1979m.
- maerifateulumalhadithi: li'abieabdallhmuhamad bin eabdallahalhakimalnaysaburi, daralnashra: daralkutubaleilmiat - bayrut - 1397h - 1977ma, altabeatu: althaaniatu, tahqiqu: alsayidmuezamhusayn.
- manahilaleirfan fi eulumalqurani: limuhamadeabdaleazimalzzurqany (almutawafaa: 1367h), alnaashir: matbaeateisaaalbabialhalabiwasharakahi, altabeata: altabeatalthaalithati.
- muadah 'awhamaljamewaltafriqi: li'abibakr 'ahmad bin ealii bin thabit bin 'ahmad bin mahdiialkhatibalbaghdadii (almutawafaa: 463hi), almuhaqiqi: da. eabdalmueti 'aminqileiji, alnaashir: daralmaerifat - bayrut' altabeatu: al'uwlaa, 1407.